الأكراد .. أيتام العالم

ملف مجلـــة المعرفـــة الســـعودية

الأكراد أمة يتيمة مزقتها أنياب الجغرافيا وطيّرت تاريخها العريق أشلاء للرياح التي مازالت عاصفة بهم منذ أن سقطت الدولة العثمانية، الإمبراطورية الإسلامية العظيمة، وتناهبتها الدول الأوروبية فتوزعت كردستان بلاد الأكراد وموطنهم على ست دول، وكل جزء من هذه الأجزاء الستة صار لعبة سياسية تلوح بها الدولة الأم كلما عنت لها الحاجة وفرض عليها المقتضى فكان الأكراد يتبعون سراب «الوعد» بوطن موحد حتى آخره، وعندما تنتهي مغازي هذه الدول يرمون إلى النسيان والإهمال وكردستان البلد المقطع تلقى مثل هذه الوعود من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا لكنه باء بخذلانها وإخلافها، ولم يشفع أربعون مليون كردي مهجر وموزع لأن يتحقق حلم الوطن الواحد حتى الحركات الثورية الداخلية كانت تدك في مهدها دكًا وتهلك قبل أن تكبر.
هذا التوزع نال أيضًا من «شخصية» الإنسان الكردي وجعلها متناقضة مع طبيعة بلاده الخلابة، وإمكانات كردستان الطبيعية وثرواتها، فصار موزعًا هو الآخر بين الشفافية والقسوة، بين الغنى والفقر، وهذا التمزق أضر بلغتهم وتقاليدهم الأصيلة وحتى بأزيائهم الخاصة، ولا يجمعهم على ذلك غير عيد «النيروز».. إنها حكاية شعب يئن تحت وطأة التحلل الدولي من مسؤولياته، وأرهقته الوعود الكاذبة التي ظهرت في تاريخه الطويل لمجرد الاستعمال السياسي.
إنها حكاية ابن له ست أمهات وهو في حقيقة نفسه يريد أمًا واحدة.. إنها حكاية أطول من ذلك بكثير.. وأوجع من ذلك بكثير.

الأكراد بين التاريخ والسياسة
علي العبد الله

عبر الأكراد في جميع أنحاء العالم عبر النشاطات الثقافية والسياسية عن مشاعرهم الوطنية، ومطالبهم للعيش بحرية وكرامة أسوة بغيرهم من كل شعوب الأرض وأممها. وطالبوا بالاعتراف بهم كأمة متميزة عن بقية الأمم التي يعيشون معها في كيانات سياسية، أمة لها الحقوق والواجبات نفسها التي أقرتها القوانين المحلية والدولية.
لقد فتحت هذه النشاطات ملف القضية الكردية ووضعته على جدول أعمال المجتمع الدولي رسميًا وشعبيًا، مبرزة الأوضاع التعسة التي يعيش فيها الأكراد في ظل دول لا تعترف لهم بهوية قومية، ولا بخصوصية ثقافية، وتقسرهم على الامتثال لإرادتها السياسية. تحدد لهم الأسماء المسموحة واللغة التي يجب أن يتحدثوا بها، حتى الغناء الذي يجب أن يطربوا له.
من هم الأكراد؟
الأكراد شعب آري من مجموعة الشعوب الهندوأوروبية، من العائلة الأوروبية التي تضم الفارسية والأوردية والبلوشية والبشتونية. له لغة خاصة ويعيش على رقعة جغرافية واحدة ومتصلة: كردستانين الفارسية والتركية. إننا نريد أن نحكم أنفسنا بأنفسنا
الحركة القومية الكردية بين الحربين:
انهارت الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وانفصلت عنها أغلب الشعوب والقوميات التي كانت خاضعة لها كالعرب والألبان والبلغار واليونان والأرمن إلا الأكراد، لم يثوروا ولم يحصلوا على حقوقهم القومية كأمة، حيث أدى وجودهم، ولعقود طويلة، في قلب الصراع العثماني الصفوي الروسي ومشاركتهم الكبيرة في الدفاع عن أرض السلطنة- دورًا مركزيًا في حضور السلطنة المكثف في مناطقهم، وهذا جعل علاقتهم بالمركز قوية وألغى احتمال انشقاقهم أو انفصالهم عن السلطنة.
انفرط عقد الدولة المشتركة، دولة المسلمين، وقسمت أراضيها بين الدول الاستعمارية الأوروبية التي رعت تشكيل كيانات سياسية جديدة وخرائط جديدة حصلت بموجبها كل الشعوب التي كانت تحت سيادتها على دول خاصة باستثناء الأكراد.
فقد تضمنت معاهدة سيفر 1920م إعطاء الأكراد في تركيا حق تقرير المصير، وكان ذلك أول اعتراف دولي بوجود شعب كردي وبحق هذا الشعب في تقرير المصير، وعلى ضوء ذلك نشأت «لجنة الاستقلال الكردي» عام 1923م وبدأ الشيخ سعيد بتحريض الأكراد على الوحدة والاستقلال، ومواجهة الأعداء الذين يمنعونهم من الاستقلال، ولكن اتاتورك عاملهم بوحشية وسحق حركتهم بمساعدة فرنسية عام 1925م. ولكن ثورات أخرى قامت، في آرارات عام 1930م وفي درسيم 1936م ولكنها سحقت هي الأخرى.

وفي إيران استطاع إسماعيل آغا (سيمكو) أن يقود حركة سياسية كردية بين 1923م-1925م وأن يسيطر على كل المنطقة الكردية غرب بحيرة أروميا، ونسق مع الشيخ محمود البرزنجي في السليمانية (كردستان العراق) وحققا نجاحات كبيرة أخافت الإنكليز الذين تحركوا ونجحوا في سحق الثورة.
وقد اندلعت ثورة أخرى في عام 1930م بقيادة جعفر سلطان، ولكنها ظلت محدودة الأثر والمدة.
وفي عام 1944م تشكلت المنظمة الكردية «جمعية الإحياء الكردي»، والتي مهدت لقيام الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران، الذي استطاع إقامة جمهورية «مهاباد» (جمهورية كردستان الديمقراطية) عام 1946م (دولة حكم ذاتي داخل إيران). لكن السلطات الإيرانية رفضت الاعتراف بالجمهورية والتفاوض معها، وتمكنت من استعادة «مهاباد» وبسط سيادتها عليها، بعد تخلي السوفييت عنها في اتفاقية يالطة.
أما في العراق فقد جابه الأكراد بقيادة الشيخ محمود البرزنجي القوات البريطانية الزاحفة على منطقة الموصل عام 1918م، ولكن القوات البريطانية سحقت القوات الكردية البسيطة التسلح، واعتقلت الشيخ البرزنجي ونفته إلى خارج البلاد، إلا أن التطور في ساحات الحرب العالمية الأولى أجبر البريطانيين على إعادة الشيخ البرزنجي والتفاهم معه على أن يحكم السليمانية، ووعدته بدولة مستقلة للأكراد بعد انتهاء الحرب.
غير أن بريطانيا نكثت بالوعد وأتت بالملك فيصل بن الشريف حسين لحكم العراق بعد أن ضمت السليمانية والموصل (منطقة الأكراد) إلى بغداد والبصرة وكونت منها مملكة جديدة بحكم عربي وراثي.
ثار الأكراد مجددًا بقيادة الشيخ محمود البرزنجي في عام 1923م، ولكن بريطانيا استخدمت الطائرات في قصف المدن والقرى الكردية، وانتهت الثورة عام 1924م.
وفي عام 1930م تجمع الاكراد أمام سرايا الحكومة في السليمانية احتجاجًا على ما آلت إليه الأمور، وتحول التجمع إلى حركة شعبية شاملة، ضمت المثقفين والطلبة والحرفيين والفلاحين ورجال الدين ورؤساء العشائر.
مع انقلاب بكر صدقي (الكردي) عام 1937م عاد الشعور القومي الكردي إلى التصاعد، فتشكل حزب «الأمل» عام1939م وهدفه المطالبة بالحكم الذاتي في إطار الدولة العراقية. بقي هذا الحزب متماسكًا حتى عام 1943م حيث اختلف قادته على التحالف الخارجي مع الاتحاد السوفييتي أم مع بريطانيا فانقسم عام1945م ونشأ عن التيار السوفييتي حزب «الخلاص» الذي تحول فيما بعد إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة الملا مصطفى البرزاني عام1946م.
لم تسمح الظروف الدولية والإقليمية من جهة، ولا وحشية القوات البريطانية والفرنسية والتركية من جهة ثانية، ولا ضعف الحركة الكردية من جهة ثالثة للأكراد بالتقاط فرصة الاعتراف الدولي بهم والذي تضمنته معاهدة سيفر 1920م وتجسيده في كيان سياسي خاص.
الحركة القومية الكردية بعد الحرب العالمية الثانية:
تغير المشهد الدولي، وكرست الاتفاقيات والقوانين الدولية نظامًا دوليًا لا يعترف إلا بالكيانات السياسية، وحصلت الدول القائمة على شرعية دولية وتركت الأكراد في وضع لا يحسدون عليه.
لم يقف الأمر عند هذا الحد من السوء بل تعرض الأكراد إلى أ نواع من الظلم والاضطهاد على أيدي السلطات الحاكمة في الدول التي ألحقوا بها.
ففي تركيا لم يحرموا من الاعتراف بهويتهم الكردية فحسب، بل تعرضوا لعمليات محو الهوية عن طريق منعهم من استخدام اللغة الكردية، وإجبارهم على تغيير أسماء العائلات والقرى (تم تغيير أسماء 23 ألف قرية)، كما تعرضوا إلى عمليات تهجير قسرية.
وهذا أدى إلى تجذر النزعة الانفصالية بين الأكراد، حيث نشأ عام1960م الحزب الديمقراطي الكردي معتمدًا خطًا سياسيًا متشددًا: الانفصال عن تركيا. لكن النظام قابل هذا بقسوة ووحشية: إعلان الأحكام العرفية في منطقة شرق تركيا، وتهجير آلاف الأسر إلى غرب تركيا لتخفيض كثافة الأكراد في الشرق.
لم تهدأ المجابهة، حيث عمل بعض الأكراد، لخدمة قضيتهم، عبر الأحزاب والمنظمات التركية، ودخلوا البرلمان والوزارة، لكنهم فصلوا وأدخلوا السجن عندما ألمحوا إلى أصولهم الكردية وإلى وجود قضية كردية في تركيا.
تجددت المجابهة عام 1984م بعد إعلان حزب العمال الكردستاني بقيادة عبد الله أوجلان (تأسس عام 1979) بدء الكفاح المسلح ضد النظام التركي الذي لا يعترف بالوجود الكردي المتميز داخل تركيا (كلفت الحرب 30ألف قتيل و130 مليار دولار، ناهيك عن هدم 3000 قرية). ومازالت القضية عالقة رغم التحسينات التي حصلت في أوضاع الأكراد (السماح بتعلم لغة كردية، فترة بث محدودة في التلفزيون الرسمي التركي) بضغط أوروبي على خلفية تحسين سجل تركيا في مجال حقوق الإنسان من أجل قبولها في عضوية الاتحاد الأوروبي.
وفي إيران لم يحصلوا على اعتراف بهويتهم القومية وتعرضوا في فترات 1946م و1980م إلى هجوم دمر قراهم ومدنهم، واستخدمت عام 1980م الطائرات في قصف المدن والقرى.
حيث وقعت المجابهة بين الحزب الديمقراطي الكردستاني وقوات الجيش وحراس الثورة الإيرانيين داخل إيران وفي الأراضي العراقية حيث لجأ كوادر هذا الحزب، بعد أن رفضت إيران التفاهم وحل القضية سلميًا، واغتالت قادة الحزب د.عبد الرحمن قاسملو وآخرين بعد أن فشل اجتماع بينهم في فيينا بحضور الوسيط د.فاضل رسول (قتل الوفد الكردي والوسيط بحضور الوفد الإيراني داخل الغرفة نفسها عام1989م).
وفي العراق تعرضوا لمذابح جماعية واستخدمت ضدهم الأسلحة الكيماوية (حلبجة 1988/3/16م حيث قتل 5000

شخص في لحظات). كما أجبروا على النزوح من قراهم إلى جنوب العراق وإلى مناطق الحدود الدولية والجبال العالية، وإلى تدمير(4000) قرية لمنع السكان من العودة إليها.
استمرت المجابهات العنيفة في الفترة ما بين 1961م و1991م، تخللتها فترات هدوء ووقف إطلاق نار، حيث حصل تفاهم بين الأكراد وعبد الكريم قاسم إثر اعتراف دستور 1958م بالأكراد وتعريفه للدولة العراقية كدولة ثنائية القومية. لكن تخلي عبدالكريم قاسم عن الديمقراطية والدستور أعاد إلى المجابهة حرارتها فبدأ القتال من جديد عام1961م، واستمر متقطعًا إلى عام 1970م حيث توقف بعد عقد اتفاق الحكم الذاتي، لكنه لم يدخل حيز التنفيذ فتجدد القتال.
انهارت الحركة الكردية عام1975م إثر اتفاق الجزائر بين العراق وإيران، فانقسم الحزب الديمقراطي الكردستاني بخروج جلال طالباني وتشكيله للحزب الوطني الكردستاني، كما نشأت حركات ماركسية تجمعت في الحركة الاشتراكية الكردية، وأخرى إسلامية كردية بقيادة الشيخ عثمان وشقيقه علي ومشاركة إدريس بن الملا مصطفى البرزاني.
وقد قاد فرض منطقة حظر الطيران شمال خط العرض 33، بعد حرب تحرير الكويت عام 1991م إلى تكريس كيان كردي مستقل في شمال العراق، وزاد الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003م فرص الأكراد في الحصول على مكاسب كبيرة في العراق الجديد.
وفي سورية تعرضوا إلى أنواع من الظلم، وإن لم تأخذ شكل مواجهة مسلحة: إبقاء قطاع واسع منهم (70 ألف نسمة) دون جنسية في إحصاء 5 10/1962/م (أصبحوا بعد أربعة عقود أكثر من 200 ألف نسمة)، وتطبيق فكرة الحزام العربي عام1966م بتهجير آلاف الأسر الكردية من أرضها وتوزيعها على أسر عربية نقلت إليها من المنطقة التي غمرتها بحيرة سد الفرات.
القضية الكردية: الواقع والآفاق:
تعقد الوضع وبلغ حدًا خطيرًا بسبب عدة أمور:
* الصراعات الكردية -الكردية.
* التحالفات الكردية مع الدول الإقليمية.
* استغلال القوى الخارجية للقضية الكردية للتدخل في شؤون دول الإقليم خدمة لمصالحها.
* موقف دول الإقليم السلبي من طموحات الشعب الكردي وحقوقه الوطنية المشروعة.
فالخريطة السياسية التي نشأت عن مخططات القوى النافذة في الوضع الدولي في عشرينيات القرن الماضي خلقت وضعًا حرجًا. كل القوى الإقليمية ضد هذه الخريطة، كلٌّ لاعتباراته، مع عدم المساس بها في الوقت نفسه. فالعرب ضد هذه الخريطة لأنها قسمتهم وأفقدتهم أجزاء من أرضهم:
فلسطين، ولواء الإسكندرون، وعربستان. وضد المساس بها خوفًا من خسارة ما. والأتراك ضد الخريطة لأنها انتزعت منهم ولاية الموصل الغنية بالبترول، وضد المساس بها لأن المساس بها قد يفقدهم مساحات لصالح الأكراد والعرب.
والإيرانيون ضد الخريطة لأنها أفقدتهم مساحات في شط العرب وضد المساس بها لأن المساس بها قد يفقدهم أراضي لصالح العرب والأكراد.
الأكراد وحدهم ضد الخريطة ومع إعادة النظر فيها كي يأخذوا حقوقهم في أرض ودولة. ولكن إنشاء وطن قومي للأكراد سيكون على حساب دول قائمة، وهذا وحّد هذه الدول لمنع الأكراد من الوصول إلى أهدافهم.
لقد جرت بين هذه الدول اتصالات وعقدت اجتماعات على أعلى المستويات للحيلولة دون التعاون بين الفئات الكردية الفاعلة سياسيًا وعسكريًا وللحيلولة دون إنشاء دولة كردية مستقلة.
وهذا أدخل القضية الكردية في عنق زجاجة، فلا الجماعات الكردية وحدت صفوفها وتوحدت حول قضيتها، ولاهي نجحت في عقد تحالفات تخدم أهدافها، حيث كانت نتيجة كل تحالفاتها في صالح القوى الأخرى الإقليمية والدولية وكانت قذيفة في مدفع الآخرين.
ولا الدول التي تسيطر على أرض كردستان استطاعت إقناع الأكراد، عبر المعاملة الدستورية والقانونية العادلة، أنها دولهم، وأنهم جزء من شعوبها، لهم كامل الحقوق مثل كل المواطنين مع احترام خصوصيتهم القومية والثقافية وإعطائهم حق التعبير عنها في الممارسة اليومية. ولا القوى الإقليمية والدولية النافذة نظرت إلى القضية الكردية من زاوية المصلحة الكردية وحل النزاعات الإقليمية بتحقيق طموحات شعوب المنطقة في حياة آمنة مستقرة.
لقد غدا الأكراد أسرى التوازنات الإقليمية والدولية، التي تفرض عليهم شروطها، وأصبحوا، في أحيان كثيرة «مخلب قط» وأداة استنزاف للقوى المحلية. فقد وعدوا بدولة من قبل فرنسا (1921م) وبريطانيا(1922م) والولايات المتحدة (1944م، روزفلت - 1973م كيسنجر) ولكن كل ذلك لم يحصل.
وغدت دول المنطقة التي بها أقليات كردية كبيرة أسيرة القضية الكردية، تفجرها القوى الخارجية عندما يكون لها مصلحة في تفجيرها، وتتجاهلها بعد أن تحصل من هذه الدول على تنازلات سياسية واقتصادية.
انقسم الباحثون حول توصيف الوضع الكردي: هل يشكل الأكراد أمة أم جماعة اثنية؟
الذين يعتبرون الأكراد أمة، يرون فيهم رابع أكبر أمة في المنطقة، وأكبر أمة في العالم لم تحصل على دولة خاصة بها، ويطالبون بتأييد حقهم في الحصول على دولة خاصة بهم.
والذين يعتبرون الأكراد مجرد جماعة اثنية ولا يشكلون في رأيهم أمة بالمعنى الحديث، وبالتالي لا يمكن إعطاؤهم دولة خاصة بهم، يرون أنهم حصدوا ما يستحقون.
ينظر الأكراد إلى أنفسهم على أنهم أمة مكتملة التكوين وأن من حقهم، أسوة بكل أمم الأرض، تحقيق طموحاتهم

القومية.ويختلفون فيما بينهم حول تجسيد هذه الطموحات حيث تبنى بعضهم إقامة دولة (حزب العمال الكردستاني التركي) وتبنى آخرون خيار الفيدرالية القومية (الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الوطني الكردستاني). بينما طرح آخرون مطالبهم بالتوازي مع حالة ميزان القوى الإقليمي والمحلي والموقف الدولي من هذه المطالب. وهذا دفعهم إلى عدم المطالبة بدولة مستقلة، والمطالبة بحقوق مواطنة كاملة في الدول التي يعيشون فيها وعلى قدم المساواة مع أبناء القومية السائدة في هذه الدول، والمشاركة في اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية.

إن قراءة مدققة في الظروف المحلية والإقليمية والدولية السائدة تقود إلى ترجيح استبعاد قيام دولة كردية مستقلة، واحدة أو في أجزاء من كردستان، وهذا يطرح على دول وشعوب المنطقة ضرورة الخروج من المأزق، وإيجاد قاسم مشترك بين أطراف النزاع المحلية، قاسم مشترك يؤسس لعلاقة عادلة تحق الحقوق المشروعة للجميع، وتقطع الطريق على القوى الخارجية التي تسعى لاستثمار التناقضات القائمة لابتزاز الأطراف المحلية، خصوصًا وأن هذه الأطراف هي من ضحايا المعادلة الدولية.

إن إقامة عقد اجتماعي وطني في الدول التي بها أقليات كردية كبيرة، يتأسس على الإقرار بالتعددية القومية والدينية وتكريس نظام سياسي قائم على الحرية والعدالة والمساواة، يكفل لجميع مواطنيه الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويحقق العدالة في توزيع الموارد والخدمات، وترسيخ دولة الحق والقانون خطوة أولية على طريق وقف نزف الإمكانات المادية والبشرية في المنطقة، على طريق إقامة نظام ديموقراطي يسمح بانضواء الأكراد كقومية لها ذاتيتها وشخصيتها المتميزة في نطاق هذه الدول، و يقود إلى حل سلمي للمشكلة الكردية قائم على تحديد سقف المطالب الكردية بحسب حجمهم في كل دولة من هذه الدول، مثل القبول بدولة متعددة القوميات أو بحكم ذاتي في إطار دولة العدل والحرية والمساواة مقابل اعتراف هذه الدول بالتعددية القومية والثقافية والدينية في دولها وممارسة المساواة والعدل مع مواطنيها.

المراجع والهوامش :

* يعبر احتفال الأكراد في جميع أماكن وجودهم بعيد النيروز، بإشعال النيران ليلة 21 /3 من كل عام والتجمع في ساحات المدن والقرى للغناء والرقص وتناول الطعام طوال النهار، يعبر عن وحدة ثقافية تعكس الوطنية الكردية.
* زرنوقه د. صلاح سالم : القومية الكردية : المنشأ والعلاقة مع القوميات المجاورة - ص 88 السياسة الدولية المصرية - العدد135 يناير 1999م.
* هكذا وردت في المصدر مع ضرورة التحفظ على الأرقام لأنها ليست رسمية حيث لا مسح للأراضي ولا تعداد للسكان بحسب العرق الذي ينتمون إليه.
* زرنوقه مصدر سابق ص 88.
* عوني، درّية : عرب وأكراد : خصام أم وئام - ص 26 دار الهلال بالقاهرة -1993م.
* زرنوقه - مصدر سابق ص 88 وعوني، درية -مصدر سابق ص 29.
* قال البعض أنه كان للأكراد أبجدية خاصة بهم شبيهة بالأبجدية الآشورية والأرمينية وتكتب من اليسار إلى اليمين، تخلوا عنها بعد دخولهم الإسلام وأخذوا يكتبون بالحرف العربي،عوني، درية -مصدر سابق ص 27.
* زرنوقه - مصدر سابق ص88 وعوني، درية - مصدر سابق ص 27.
* زرنوقه د. صلاح سالم : مصدر سابق ص89،
* زرنوقه - مصدر سابق ص 89.
* عوني، درية - مصدر سابق ص43-44-45 .
* درويش، عبد الحميد : لمحة تاريخية عن أكراد الجزيرة - ص 6+7 - 1996م- دون مكان للنشر.
* ماكدول، ديفيد : تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة راج آل محمد، ص59-150، دار الفارابي بيروت 2004م.

التعليم في كردستان: تغيير من الغلاف إلى الغلاف

عمر إبراهيم عزيز - أربيل

كانت ولاية الموصل إحدى الولايات الثلاث في العراق، وتضمنت مناطق كردستان (دهوك، أربيل، سليمانية). وعند الحديث عن التعليم في الموصل، فإنه يتضمن الحديث عن التعليم في كردستان العراق.

لعبت المدارس الدينية دورًا كبيرًا في التعليم، حيث تتضمن الدراسة حروف الهجاء وسورة الفاتحة والإخلاص والتحيات، ثم يدرس الطالب جزء عمّ، ويتقدم شيئًا فشيئًا فيكمل قراءة القرآن الكريم. وأما الخط والإملاء فكان «الفقيّ» يقوم بالتدريب عليها ذاتيًا. وعندما يبدأ «الفقيّ» بدراسة الكتب ينتقل إلى القرى الأخرى، ويبلغ عدد الكتب التي تدرس في الكتاتيب (62) كتابًا، وفترة الدراسة تتراوح بين (12 سنة و16و18 سنة) وكانت الشروح والتعليقات على هذه الكتب باللغة الكردية، وكانت الدراسة عبارة عن المطالعة والحفظ والاستذكار. ويطلق على بعض رجال الدين اسم (ذي العلوم الاثني عشر) وذلك لأن «الفقيّ» كان يدرس العلوم الاثني عشر قبل أن يصبح مجازًا في العلوم العربية والدينية. وكانت هناك مراسيم شعبية احتفالية لمنح الشهادة وتتضمن الألعاب والتمثيليات التي كانت تقدم.

ومن أسباب زوال الدراسة الدينية في الكتاتيب غلاء المعيشة، ورفض العديد من طلاب الدراسة الدينية التطفل على جهود الكسبة والفلاحين، وافتتاح المدارس الرسمية في معظم قرى سهل أربيل، وإجراء امتحان صوري وافتتاح دورة تدريبية للمستعدين المتقدمين وتعيينهم بصفة معلمين على ملاك التعليم الابتدائي بعد ثورة 14 تموز. (ملاي رقش، 1986، ص139-140).

المدارس في ولاية الموصل:

إن أول مدرسة ابتدائية حديثة أسست في مدينة الموصل كانت في عهد ولاية كنعان باشا عام 1861م. وفي البداية ضمت المدرسة صفوفًا ابتدائية وصفوفًا للدراسة الرشدية، وانفصل المكتب الرشدي عن المكتب الابتدائي عام 1890م. وفي عام 1894م أنشئ مكتب ابتدائي ثانٍ. وازداد عدد المدارس حتى أصبحت 30 مدرسة رسمية في الموصل و20 مدرسة ابتدائية في ألوية كركوك والسليمانية وأربيل والأقضية التابعة لها في عام 1914م.

كانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية أربع سنوات، ويقبل الطالب في عمر ست سنوات، وملاك المدرسة يتكون من معلم واحد، ومناهج هذه المدارس احتوت على الألف باء ومبادئ الحساب والهندسة البسيطة وعلم الحال والأشياء والصحة والتاريخ والجغرافيا، وكان معظمها باللغة التركية. وكان التعليم فيها مجانًا، ويساهم الآباء عادة في تقديم بعض الأموال إلى المعلمين (الملالي) الذين يعلمون الأطفال (إسماعيل، ص 7-9، 1984).

وبالنسبة للتعليم المهني فإن أول مدرسة وهي (مدرسة صنائع الموصل) تأسست عام 1872م، وضمت مناهجها التاريخ والجغرافيا العثمانية واللغة التركية، فضلاً عن الدروس العلمية.

وتم افتتاح دار المعلمين في المدينة سنة 1900م ويقبل فيها خريجو المدرسة الإعدادية.

وكانت هناك أيضًا إعدادية ملكية ذات خمسة صفوف، ومدرستان أوليتان، وفي الأقضية والنواحي (عقرة، عمادية، زاخو، دهوك، سنجار) كان هناك خمس مدارس رشدية و12 أولية، وفي كركوك والسليمانية وأقضيتهما (كويسنجق، رواندوز، رانية، أربيل، كفري، حلبجة، قلعة دزة، بازيان، شهربازار) تسع مدارس رشدية و16 أولية، ومدرسة رشدية عسكرية في السليمانية تهيئ خريجيها للدخول في المدرسة الإعدادية العسكرية في بغداد. وازداد عدد المدارس بمرور الزمن.

وقد تأسست مدارس عديدة لأبناء الطوائف غير الإسلامية مثل المدرسة الإعدادية الكلدانية سنة 1910م ومدرسة (الاليات الإسرائيلي) لأبناء الطائفة اليهودية عام 1911م. وفيما يخص منطقة بادينان، فقد أشارت السالنامات الأولى لولاية الموصل والتي صدرت خلال المدة بين 1890 و1912م عدم وجود مدارس رسمية في هذه المنطقة. وهناك إشارة واحدة في سنة 1894م إلى وجود 11 مكتبًا أهليًا (كتاتيب) لتعليم الصبيان في دهوك: 7 فيها للمسلمين و2 للمسيحيين و2 لليهود، كانت تعلم الصبيان القراءة والكتابة ومبادئ الدين فقط. وإشارة أخرى لاحقة إلى وجود مدرستين ومكتب في زاخو ومدرسة ابتدائية في دهوك عام 1907م.

نتبين مما سبق أن الدولة العثمانية لم تول التعليم الاهتمام الكافي، وكانت لغة التدريس هي اللغة التركية، وبعد المطالبة الملحة بتغيير لغة التدريس اضطر الاتحاديون سنة 1911م إلى إدخال اللغة العربية، ثم تراجعوا عن قرارهم وأمروا بتدريس الجغرافيا والتاريخ باللغة التركية. وطالب الأكراد أيضًا في مدينة دهوك بتطبيق الدراسة باللغة الكردية في كردستان. وهذا دعا الجيش العثماني إلى الهجوم على بارزان في نيسان عام 1914م.

وإبان الاحتلال البريطاني، تم إغلاق عدد من المدارس العثمانية، ولكن بعد توفر الأعداد المطلوبة من المعلمين تم فتح بعض المدارس في الموصل ودهوك وعقرة وزاخو. ثم فتحت مدارس كانت لغة التعليم فيها كردية.

كان في العراق سنة 1919م 75 مدرسة ابتدائية وأولية، وكان التعليم باللغة العربية في 56 مدرسة، وباللغة التركية في 11 مدرسة، وباللغة الكردية في 7 مدارس.

ولم تشتمل البعثة العلمية الأولى إلى الخارج طلابًا من كردستان، وقد نشرت اللجنة الدولية التي حققت في مشكلة الموصل، في توصيتها ضرورة نشر التعليم في المدارس الكردية باللغة الكردية، واتخذت عصبة الأمم في 1925م قرارًا بهذا الشأن بلغ به المندوب السامي البريطاني في بغداد، ولكن الحكومات العربية العراقية المتعاقبة لم تلتزم بذلك.

واستمرت محاولات الأكراد المخلصين لجعل الدراسة باللغة الكردية في مناطق كردستان، ولتوفير ميزانية للتعليم في كردستان مماثلة لميزانيات باقي محافظات العراق.

وكانت نسبة المدارس الكردية قليلة مقارنة بعدد السكان الأكراد في مناطق كركوك والموصل، ولم تكن الدراسة باللغة الكردية في دهوك والعمادية وزاخو وشيخان وعقرة. بينما كانت الدراسة باللغة الكردية في 13 مدرسة في هذه الأقضية عام 1927م.

ولم توفر الحكومة ميزانية لتوفير المناهج باللغة الكردية ولم تفسح لهم المجال لعمل ذلك.

ورغم مساوئ الانتداب البريطاني من 1924إلى1932م في السياسة التعليمية لكردستان العراق، فهناك أمور إيجابية يجب ذكرها مثل:

- وضع في هذه الفترة أسس ونظام ومناهج الدراسة الكردية .
- التجاوب مع المطالب الكردية فيما يتعلق باستخدام اللغة الكردية.
- تطور اللغة الكردية كوسيلة للمراسلة والتعليم.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة الكردية في كركوك وفي بادينان لم تطبق حتى آذار 1970م. (بوتاني، ص27،

2002).

الدراسة الكردية بعد قيام ثورة 14 تموز 1958م:

حررت الثورة العراق من التبعية الاستعمارية ومن العهد الملكي، وحطمت حلف بغداد، وفتحت الآفاق أمام تحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية واسعة للشعب العراقي عربًا وأكرادًا، فقد نص الدستور المؤقت الذي صدر في 27 تموز 1958م، ولأول مرة في تاريخ العراق الدستوري على المساواة بين العرب والأكراد في الحقوق، والشراكة في الوطن. أما بصدد التعليم فقد تشكلت مديرية خاصة في وزارة المعارف لتطوير التعليم في كردستان- العراق، وتهيأت بذلك للأطفال والشباب الأكراد إمكانية التعليم بلغتهم الأم، وفي المؤتمر الثالث للطلبة العراقيين (اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية) الذي انعقد في مطلع كانون الثاني 1960م ببغداد، قدمت للمؤتمر العديد من التوصيات منها:

- تدريس تاريخ الشعب الكردي في المدارس الكردية خاصة والعراق عامة.
- جعل اللغة الكردية لغة رسمية في كل مدارس كردستان-العراق، والمباشرة بتطبيقها في السنة الدراسية 1960م-1961م.
- فتح بعض المعاهد العالية في كردستان.
- وضع خطة عامة لإيجاد الجامعة الكردية والمباشرة في تهيئة المستلزمات الضرورية لميلادها.
- زيادة عدد الموفدين في البعثات الحكومية من الطلبة الأكراد، وإشراف مديرية المعارف للدراسة الكردية على ذلك.
- تدريس نصوص مترجمة من الأدب الكردي في المدارس العراقية ضمن مناهج المطالعة الأدبية.

تدهورت الدراسة الكردية مع ابتعاد قادة ثورة 14 تموز عن النهج الديمقراطي في الحكم منذ مطلع سنة 1960م وتوقف سير التعليم الكردي تقريبًا فقد بلغ عدد الذين يسمح لهم عمرهم بدخول المدارس سنة 1960م- 1961 م نحو (270) ألف طفل، أما الذين تمكنوا فعلاً من دخول المدارس فكانوا 136 ألف طفل فقط، أي أن 34% من أطفال كردستان ظلوا محرومين من التعليم، وازدادت هذه النسبة في سنوات الثورة الكردية التي اندلعت في 11 أيلول 1961م.

وفي المؤتمر الرابع لنقابة المعلمين في الجمهورية العراقية المنعقد في شباط 1962م أتت السلطة على البقية الباقية من الدراسة الكردية، فقد قرر المؤتمر وبإيعاز من السلطة، بالنسبة للدراسة الكردية ما يأتي:

- توحيد المناهج في جميع أنحاء العراق باللغة العربية.
- إبدال كلمة (المنطقة الشمالية) بكلمة (كردستان) في الكتب والمناهج.
- تأسيس مكتبات عربية في المناطق الكردية.
- تدريس اللغة العربية بطريقة فنية خاصة في مختلف مراحل الدراسة في (الشمال).
- تشجيع الكتاب الأكراد والمؤلفين على التأليف بالعربية.
- شجب مقررات لجنة الدراسات الكردية في المؤتمر الثالث بتأسيس كلية التربية في كردستان.
- إلغاء مديرية المعارف العامة للدراسة الكردية.
- إلغاء عقد مؤتمرات خاصة بالمعلمين الأكراد لوجود نقابة تمثل الجميع.
- عدم تأسيس مجمع علمي كردي، وشجب مقررات لجنة الدراسات الكردية في المؤتمر الثالث للمعلمين بهذا الصدد.
- إنزال أشد العقوبات في حق المعلمين الذين اشتركوا في (الحركة الانفصالية الرجعية في شمال الجمهورية العراقية).

رفض المعلمون الأكراد المشاركون في المؤتمر القرارات المذكورة أعلاه جملة وتفصيلاً، واستنكروا تبديل اسم كردستان وإطلاق اسم المنطقة الشمالية عليها، وأصروا على تأسيس كلية التربية في كردستان وعلى بقاء مديرية المعارف العامة للدراسة الكردية، وشجبوا التوصية بعدم عقد مؤتمر للمعلمين الأكراد، كما عارضوا توحيد المناهج وتأسيس مكتبات عربية في المناطق الكردية.

وأمام تعنت نقابة المعلمين وإصرارها على مقرراتها الخاصة بالدراسات الكردية، قرر المعلمون الأكراد تشكيل اتحاد خاص بهم باسم (اتحاد معلمي كردستان) وعقدوا مؤتمرهم الأول في 16 أيار 1962م.

المهم في الأمر، وبفعل انعكاسات تردي الأوضاع السياسية في العراق ازدادت نسبة الأمية في سنوات الثورة الكردية، وبلغت في كردستان سنة 1969م أكثر من 80%، واستمرت الحكومات العراقية المتعاقبة على محاربة الدراسة باللغة الكردية بشتى الطرق، وظلت تتبجح لمنع استعمالها وانتشارها حتى تم الاعتراف بها في 11 آذار 1970م، على الرغم من أنها في التطبيق العملي ظل قسم واسع من الشعب الكردي محرومًا من حق التعلم باللغة الكردية.(بوتاني،2002، ص44-47).

واقع التعليم في كردستان بعد الانتفاضة عام 1991م:

سيتم ذكر التطورات التي حدثت في كردستان العراق فيما يخص التعليم وبالشكل التالي:

التربية الخاصة في نظام التعليم الابتدائي للأطفال البطيئي التعلّم

بطيء التعلم هو طفل اعتيادي في إطاره العام إلاّ أنه يجد صعوبة لسبب أو لآخر في الوصول إلى المستوى العلمي الذي يصل إليه أقرانه الأسوياء في المعدل، فلا يصنف ضمن فئة المتخلفين عقليًا ولا ضمن المعوقين. فهؤلاء الأطفال يحضرون المدرسة كالأسوياء، ولكن لديهم صعوبة في التعلم بشكل سريع، أو أنهم ليسوا بالمستوى المطلوب. وبما أن وزارة التربية هي المسؤولة عن وضع السياسة التربوية للتعليم الابتدائي وإعداد الخطط لوضع المناهج الدراسية قررت فتح عدة مدارس خاصة بهم كما يأتي:

ـ مدارس للبنات
ـ مدارس للبنين
ـ مدارس مختلطة
ـ كذلك مدارس (لليافعين واليافعات) يقبل فيها التلاميذ من التاسعة من العمر إلى الرابعة عشرة، وهي مسؤولة أيضًا عن إيجاد حل ضمن نظام التعليم الابتدائي وتعليمات خاصة لهذه الشريحة من الأطفال (بطيئي التعليم) وإنقاذهم من التخلف، وإلحاقهم بعجلة التقدم التربوي. ففتحت هذه الصفوف في محافظة أربيل ابتداء من سنة 1980م. وعدد المدارس التي كانت تضم صفوف التربية الخاصة مدرستان فقط، هما (الأيوبية وقدم خير). وفي سنة 1986م فتحت شعبة بمدرسة (زانين)، ثم زاد الاهتمام بهذه الصفوف ووفرت فيها وسائل تعليمية خاصة كجهاز أوظر جيد والسبورة المغناطيسية والفانوس السحري وتسهيلات ووسائل أخرى، بالإضافة إلى الأثاث الكامل لكل شعبة. وزاد الاهتمام بهذه الصفوف بعد الانتفاضة الكبرى وفي ظل حكومة إقليم كُردستان وخاصة من «الكابنة» الرابعة إلى أن أصبح عدد المدارس التي فيها الصفوف الخاصة (12) مدرسة.

دور معاهد إعداد المعلمين في إقليم كردستان العراق

نظرًا لكون المعاهد مؤسسة تربوية تابعة لوزارة التربية، وتعتبر المصدر الأساسي لإعداد كوادر التعليم في المرحلة الابتدائية، وبما أن التقدم الحضاري للمجتمع يستلهم أبحاثه من البنية الأساسية لأي مجتمع، وهي الدراسة الابتدائية إذا ما تم الإعداد اللائق بها وفق المتطلبات والمستويات العصرية فقد تم الاهتمام بالمعاهد بعد الانتفاضة.

عمدت وزارة التربية لإقليم كُردستان بعد تشكيلها مباشرة إلى درء ذلك الخطر المحدق من التربية البعثية والعمل بالاتجاه المعاكس، وإعادة الماء إلى مجراه الحقيقي، وحاولت استئصال الغدة القذرة التي غرسها النظام في السلك التربوي،وكان للمعهد الدور الريادي الفعال من أجل تحقيق هذه الغاية النبيلة بإزالة الشوائب التي تركها النظام في حقل التربية، وذلك بالعمل وفق الآتي:

* تمت إعادة النظر في مناهج المعاهد العلمية وتمحيص موادها الدراسية حسب متطلبات المواقع الكُردستانية، إضافة إلى إعادة طبع العديد من الكتب المنهجية المختلفة.
* تنظيم ملاكات المعاهد ورفدها بالكوادر المؤهلة علميًا وفق أنظمة المعاهد.
* فتح المدارس في جميع القرى والأرياف المهدمة سابقًا والتي أعيد بناؤها من جديد وتعمير المدارس القديمة في القرى والحواضر(المدن).
* العمل على جلب حملة الشهادات العليا والماجستير والدكتوراه إلى المعاهد، وذلك لرفع المستوى العلمي لدى طلبة التعليم الابتدائي، وكمثال هناك أكثر من 18من الأساتذة الأفاضل الذين يحملون شهادات عليا(ماجستير- دكتوراه) في معهد المعلمين المركزي/أربيل.
* هناك مقاعد تخصص للمعلمين الذين لم تتح لهم الفرص لإتمام دراستهم في حينه والراغبين في الحصول على شهادة البكالوريوس وبحدود(100)مقعد دراسي سنويًا في جامعات الإقليم كمبادرة لفسح المجال أمامهم لإكمال الدراسة التخصصية للحصول على تلك الشهادة.
* تم فتح كلية المعلمين في أربيل للعام الدراسي 2002/2001م وذلك بالتنسيق بين وزارة التربية ورئاسة جامعة صلاح الدين لرفع مستوى المعلمين والمعلمات .
* على صعيد خدمة طلاب وطالبات المعهد، تم تخصيص مبلغ150 دينارًا كمخصصات شهرية لمن هم من خارج المحافظة، ومبلغ50 دينارًا لمن هم من الداخل، فضلاً عن تأمين الأقسام الداخلية للطلبة الذين يتابعون دراستهم بعيدًا عن ذويهم.
* بالاستفادة من القرار986 عملنا من أجل إنشاء أبنية حديثة لعدة معاهد مستقبلاً.

أما بالنسبة للدورات التربوية التأهيلية بعد تعمير كُردستان في الاثنتي عشرة سنة الأخيرة بعد الانتفاضة كما أشير، فقد عمرت أكثرية القرى، وامتدت إليها الخدمات الأساسية، منها فتح مدارسها ورفدها بالكوادر التعليمية، وذلك فضلاً عن تخريج المعاهد لآلاف من المعلمين والمعلمات، إلا أن هذه النسبة لم تكن كافية، لذا دأبت وزارة التربية بمساعدة معاهد المعلمين المركزية على فتح دورات تربوية كثيرة ببرامج مكثفة لخريجي الإعداديات بفرعيها العلمي والأدبي والإعداديات المهنية ضمن محافظتي أربيل ودهوك منذ سنة 1996م إلى 2002م، وشملت خريجي المعاهد الفنية أيضًا وفق تعهدات مقدمة من قبل الطلبة بالتعيين في الأماكن المحددة لهم مدة خمس سنوات وفق أطر وأسس مدونة. بهذا الشكل تمت تغطية جميع المدارس الكائنة في المناطق النائية البعيدة، كذلك ومازالت الدراسة مستمرة إلى اليوم.

الدراسة اليزيدية في كردستان العراق

في الأربعينيات من القرن الماضي أقرت دراسة اليزيدية في بعض مدارس العراق، ولكن كانت تدرس من قبل بعض رجال الدين (المجيو) بدون كتب مقررة، حتى إن قسمًا من رجال الدين المحاضرين كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة، وكانت الدراسة نظرية فقط، واستمرت فترة ثم ألغيت.

وبعد انتفاضة آذار المجيدة في كردستان عام 1991م وجدت أجواء من الحرية والديمقراطية جعلت اليزيديين يطالبون بحقوقهم الدينية أسوة بالأديان الأخرى، وقدم مركز لالش الثقافي والاجتماعي الذي أسس في دهوك عام 1993م، طلبًا رسميًا إلى برلمان كردستان لتدريس اليزيدية في المناطق ذات الأكثرية اليزيدية. وجاءت موافقة البرلمان وقام السيد خدر ثير سليمان بإعداد كتاب للصفوف الستة الابتدائية معًا باسم (ئيَزدياتى . وانة بؤ قوتابييَن ئيَزديان (1-6) قوناغا

سةرةتاي) أي (اليزيدية. الدروس للتلاميذ اليزيديين (1- 6) المرحلة الابتدائية) وتم تدريس هذا المنهج لمدة سنتين دراسيتين ابتداء من العام الدراسي (1995 - 1996م). وقد ذكر السيد خدر ثير سليمان في مقدمة كتابة «رأينا من الضروري ملء الفراغ وقمنا بإعداد كتاب، وحسب معرفتنا، للصفوف الستة الابتدائية كمشروع أولي».
وفي عام 1997م وبعد أن تم تعيين مشرف تربوي لمادة اليزيدية قُدمت مذكرة إلى وزارة التربية لإقليم كردستان العراق طلب فيها تنقيح كتاب (الأيزدياتي) الآنف الذكر، عند ذلك تم تشكيل لجنة من خمسة أعضاء لتنقيح الكتاب. قامت اللجنة بوضع منهاج خاص لكل صف على حدة وأخذت بالاعتبار عمر التلميذ وإدراكه.
وفي العام الدراسي 1998- 1999م كان التلاميذ اليزيديون يدرسون اليزيدية بشكل رسمي وبكل حرية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى التسامح الديني والتعايش الأخوي بين جميع الأديان في كردستان.
ثم تواصلت مطالب اليزيديين بالاستمرار في إعداد المناهج للمراحل الأخرى (المتوسطة والثانوية)، وبدعم من مركز لالش الثقافي والاجتماعي قام المشرف التربوي لليزيدية في المرحلة الابتدائية بتقديم طلب إلى المديرية العامة لتربية دهوك ورفع إلى وزارة التربية لإقليم كردستان وتمت الموافقة على تشكيل لجنة لإعداد مناهج المرحلة المتوسطة.
عرضت على المجلس الروحاني اليزيدي أيضًا وبموافقته ومباركته طبع المنهج ودرس في المدارس في بداية السنة الدراسية 2002 -2003م. إذًا ولأول مرة في التاريخ فإن الطلاب اليزيديين يدرسون ديانتهم في كل المراحل الدراسية الابتدائية والثانوية، إنها حقًا إنجاز كبير طالما انتظره اليزيديون طويلاً.

التربية المدنية

في إطار الجهود المتواصلة للاستفادة من تقدم تجارب الشعوب، فإن وزارة التربية لإقليم كُردستان بالتنسيق والتعاون مع وزارة حقوق الإنسان، مكبة على تنفيذ عملية تربوية معاصرة، وهي (عملية التربية المدنية). ومن أجل تطبيق التجربة اختارت وزارة التربية أربعة كتب لتدخلها ضمن المناهج الدراسية لأربع مراحل دراسية وتشمل:
- كتاب (التعلم حول المسؤولية) يدرس في الصف الرابع الابتدائي.
- كتاب (التعلم حول الخصوصية) يدرس في الصف الخامس الابتدائي.
- كتاب (التعلم حول العدالة) يدرس في الصف السادس الابتدائي.
- كتاب (التعلم حول السلطة) يدرس في الصف الأول المتوسط.
هذه الكتب الأربعة تدرس ضمن منهاج التربية المدنية في معظم دول العالم التي تهتم بهذا الجانب المهم في مسارها التربوي.
مما يلاحظ في عملية (التربية المدنية) أن فيها محاولة ملموسة للاعتماد على (الحوار) وإعطاء الدور للتلاميذ أنفسهم ليمارسوا المفاهيم بشكل أكثر. إن هذه العملية التي اقترحت على أن تطبق في العام الدراسي 2003 - 2004م بشكل تجريبي في إقليم كُردستان، وفعلاً في الفترة بين 13 و2003/12/23م نظمت دورة مكثفة في مديرية إعداد وتدريب تربية أربيل شارك فيها 40 معلمًا ومدرسًا من محافظتي أربيل ودهوك و10 موظفين من وزارة حقوق الإنسان، بالإضافة إلى 5 معلمين من محافظة كركوك. وضمن برنامج مكثف قدم البروفيسور (جيَمز ئادموَنز) محاضرات قيمة حول كيفية تعليم الكتب المنهجية الخاصة بالتربية والتي تعتمد أساسًا في طرائق تدريسها على المهارات العملية والمشاركات الفعالة من قبل الطلبة وبمساعدة توجيه المعلم الاختصاصي. (آفاق تربوية، 2004م، ص54).

المناهج الدراسية وتطبيق حقوق الإنسان

أصبحت حقوق الفرد وحقوق الإنسان وحقوق المرأة جميعها ضحية المناهج في العهد السابق التي سوقت الاستبداد بدءًا من العائلة وانتهاءً بالمدرسة. واستهدفت هذه المناهج إضعاف شخصية الفرد العراقي وإذابته في إطار أشمل هو «إطار مجتمع مجيش» يخدم فلسفة النخبة السلطوية بتوجيهاتها الشوفينية والاستعلائية، ولا يخفى ما في هذا التوجه من سحق كامل لحقوق الإنسان.
وقد استهدف تسييس المناهج من قبل النظام البائد، الترويج للتعصب العرقي والانعزالية وإلغاء الآخر والذي انسحب سلبًا بالخصوص على الخصوصية التنوعية للمجتمع العراقي. وكان الأكراد ضحية عملية الاستلاب المنهجي بالدرجة الأولى من خلال تغييب جميع مفردات التاريخ الكُردي والبيئي من المناهج الدراسية في إهمال مطلق لمبدأ الخصوصية المنصوص عليها في القوانين الدولية.
جاهدت وزارة التربية بعد الانتفاضة لإزالة الآثار السلبية والنتائج المأساوية لهذه المناهج المسيسة لفكر الحزب الحاكم الشوفيني التوليتاري وكانت المهمة صعبة وشاقة. وذلك للعدد الكبير من المناهج الدراسية من كتب مقررة ابتداء من الصف الأول الابتدائي وانتهاء بالمرحلة الإعدادية ووصولاً إلى مناهج معاهد المعلمين والمعلمات وحتى الجامعة.
وتمثلت العقبات أيضًا في قلة الموارد المالية. كون المناهج الدراسية في حاجة إلى إمكانيات مالية ضخمة وقلة الكوادر المختصة في هذا المجال مثلت أشكالاً أخرى في هذا المجال؛ لذا بادر المخلصون والمعلمون والمدرسون والمشرفون التربويون والاختصاصيون والخبراء إلى العمل أولاً وضمن الإمكانات المتاحة على حذف - الصياغات المسيسة - من خلال:
- حذف صور الدكتاتور من مقدمة الكتب الواردة من المركز.
- إلغاء وحذف جميع المفردات التي تشير إلى القائد والحزب وتفكير الحزب.
- إلغاء وحذف جميع المفردات المتعلقة بالتعصب العرقي والمذهبي والطائفي.
- إعادة طبع الكتب المقررة في اختصاص الاجتماعيات واللغة الكُردية في مطابع الإقليم بغية مسايرة المتغيرات.

ـ إضافة مواد وفقرات لمواكبة مفردات حقوق الإنسان وحقوق الطفل مثل دراسة بنود حقوق الإنسان في الصف الرابع العام وإضافة بعض مواد اتفاقية حقوق الطفل إلى مادة التربية الوطنية للصف السادس الابتدائي.
ـ حلت مفردات (حقوق الإنسان) و(حقوق المرأة) و(حقوق الطفل) و(الديمقراطية) و(حرية الفرد) و(العدالة) و(الخصوصية) و(المسؤولية) محل مفردات: الرئيس والقائد الضرورة و(الحزب القائد) و(الأمة الرائدة) و(الطلائع) و(الفتوة) و(المقاتل) وجميع المفردات الأخرى المثيرة للحساسيات والتعصب.
ـ تم إلغاء المفردات المثيرة للعداوات التاريخية من مثل (الفرس المجوس)...إلخ.
إن العملية التربوية في إقليم كردستان خاصة وفي العراق عمومًا وفي المرحلة الحالية بعد عملية تحرير العراق تستوجب مراجعة كاملة لمجمل العملية التربوية. ومن الممكن الاستفادة من تجربة الإقليم في محاولات تكيف مناهج العلوم الإنسانية تحديدًا مع متطلبات حقوق الفرد وحقوق الإنسان من مثل تغيير منهج التربية الوطنية للصف الثالث المتوسط بصورة كلية، حيث شمل المقرر الجديد:
* شرح المصطلحات السياسية، مثل حق تقرير المصير والفدرالية والكونفدرالية.
وأن تتضمن الكتب والمنهاج التأكيد على:
* تنمية شخصية الطفل ومواهبه وقدراته التعليمية والبدنية إلى أقصى حدودها.
* تنمية احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية والمبادئ المكرسة في ميثاق الأمم المتحدة.
*تنمية الاحترام الأبوي للطفل وهويته الثقافية ولغته وقيمه الخاصة والقيم الوطنية للبلد الذي يعيش فيه الطفل والبلد الذي نشأ فيه في الأصل والحضارات المختلفة من حضاراته.
* إعداد الطفل لحياة تستشعر المسؤولية في مجتمع حرّ بروح من التفاهم والسلم والتسامح والمساواة بين الجنسين.
* تنمية احترام البيئة الطبيعية. (آرام، 2004 م. ص112-115).
مشروع المدرسة الصديقة (مشروع المدرسة الصديقة في أربيل ودهوك)
في تجربة تربوية لا مثيل لها على صعيد الشرق الأوسط والعراق، وتطبقها وزارة التربية لأول مرة في كُردستان، وهي تجربة (المدرسة الصديقة). في يوم (2003/9/23م) وبحضور السيد عبدالعزيز طيب وزير التربية وممثل منظمة اليونسيف والمديرين العامين للوزارة ومديري 10 مدارس ابتدائية نموذجية ناجحة، قدمت محاضرة مستفيضة كان الغرض منها طرح المشروع وتوضيحه، والذي ركز على تطبيقه في المدارس العشر النموذجية المختارة كتجربة في مجال التعاون وتبادل المعلومات. وهناك شروط للمدرسة الصديقة والإدارة والمعلمين والتلاميذ. فلا بد أن تتمتع هذه المدرسة بأجواء هادئة وملائمة ويؤخذ بعين الاعتبار حقوق الطفل، وتكون إمكانية وتعامل ومعرفة المعلم عالية، والمناهج تتواءم مع تقدم العصر، وتتجسد فيها إبداعات المعلمين والتلاميذ، ثم أشار كل من ممثل اليونسيف والدكتور عمر إبراهيم الاختصاصي النفسي والتربوي، بشكل مستفيض إلى هذا المشروع والذي هو تجربة قل نظيرها. ويعقد عليها أمل النجاح والوزارة متفائلة في أن تحقق نتائج سليمة في مستقبل قريب.
أهداف التربية الصديقة
* يجب أن تحدد المدرسة حقوق وواجبات التلاميذ وتصونها.
* على المدرسة أن تحترم التلاميذ، كفرد يتمتع بشخصيته.
* يجري الاهتمام بنظافة التلاميذ وبالناحية الجسدية وتطويرهما، وهذا يعلمهم أن يطبقوها خارج المدرسة.
* أن يتعاون مع التلاميذ من خلال العمل في المكتبة، وصنع بعض وسائل للإيضاح، واستخدام الكومبيوتر وآلة الموسيقا والرياضة (النشاطات المدرسية في داخل وخارج المدرسة).
* على المدرسة أن تعلم التلاميذ حب الحياة، بحيث يتفاءلون تجاهها ويكونون بعيدين عن الكآبة والانطوائية... إلخ.
* تبذل الجهود من أجل تنظيم الندوات والاجتماعات لهم، لكي يعززوا العلاقة الاجتماعية أكثر.
* يراعى الوضع النفسي للإنسان (المساواة في الممارسة، الاحترام، الاهتمام، إتاحة المجال، تقييم التلميذ الذكي ...إلخ).
* أن يكون منهج المدرسة وفق حاجة المجتمع (التلاميذ) حسب متغيرات المجتمع والعصر.
* أن تكون أجواء المدرسة على أساس الحق المشترك والمسؤولية وعدم التمييز بين الذكر والأنثى.
* أن يشجع التلاميذ على الأفكار الجيدة والقيم التربوية على أساس الاحترام والتسامح والتفاهم.
* أن تعمل المدرسة من أجل كشف الإمكانيات المخفية للتلاميذ لتطوير شخصياتهم.
* المهم هو أن يتعلم التلميذ كل نوع من الدراسة، أكثر من أن يكون التعليم لكل شخص.
* أن تشجع المدرسة مشاركة التلاميذ في الدرس، لأنها تؤثر في تفكيرهم المنفتح.
* أن تشجع المدرسة مشاركة الوالدين والمعلمين والمجتمع، وتشعرهم بأن نظافة البيت والهدوء والأمان والسلام والطمأنينة ومتابعة البيت والمدرسة ضرورية.
* أن تكون معاملة التلميذ مع البيئة منتظمة (لا يحرق الأشياء، ولا يرمي الأوساخ على الأرض، لا يقطع الورود...إلخ) وأن يرسم صور الأشجار والأزهار. (عزيز، 2004م، ص61-69).
المدرسة المتميزة
تأسست عام 2001م ثانوية في مركز محافظة أربيل باسم ثانوية أربيل النموذجية المختلطة.
قررت وزارة التربية لحكومة إقليم كُردستان العراق فتح مدرستين خاصتين للاهتمام بالمتميزين، إحداها في محافظة

دهوك باسم (ثانوية ئالا النموذجية المختلطة)، والأخرى في محافظة أربيل باسم (ثانوية أربيل النموذجية المختلطة) من أجل رفع المستوى العلمي للطلبة إلى الحد الذي يستطيعون فيه الإبداع لمواكبة التطورات الحاصلة في ميادين العلم والتكنولوجيا ليكونوا أعضاء نافعين في مجتمع يتطلع إلى غد أفضل، وعلى هذا الأساس تم تحديد عدد الطلبة في الصف الواحد بما لا يزيد على25-30 طالبًا وطالبة حتى يتمكن المدرس من الاهتمام بهم فرديًا وجماعيًا في آن واحد، كما زودت المدرسة بمكتبة متنوعة تشتمل على الكتب والمراجع وخصص لها مكان مناسب بشكل مؤقت بحيث يتوافر للطالب الهدوء والانفراد بنفسه للقراءة أو الكتابة، كما زودت المدرسة بالمختبرات اللازمة سواء مختبر اللغات أو العلمية وزودت بأجهزة ومعدات من قبل مديرية المختبرات ووفرت فيها ساحات اللعب لتمكين الطلبة من ممارسة ألوان النشاط الرياضي، واختيرت لها بناية ملائمة بشكل مؤقت توافرت فيها الشروط الصحية في محلة روناكي. (سولاقا، 2004م،ص98).

نهضة رياضية مدرسية في إقليم كُردستان العراق

المتتبع للأنشطة الرياضية في إقليم كُردستان العراق بعد انتفاضة آذار 1991م يلمس بوضوح التقدم الملحوظ لهذا النشاط الحيوي ويدرك بما لا يقبل الشك، أن هناك من يدعم ويساند هذا النشاط من أجل خلق واقع أفضل وأحسن ووفق نهج صحيح وصائب، فبعد سنوات من الإهمال والضياع وهدر الطاقات نتيجة الارتجال والعشوائية والتقصير في هذا النشاط وفي إقليم كُردستان بالذات، جاءت انتفاضة آذار 1991م لتحمل معها تغييرًا جذريًا في هذا الواقع المرّ، حيث قامت حكومة إقليم كُردستان بعد تشكيل مؤسساتها بدعم مرافق الأنشطة المتنوعة ومن بينها النشاط الرياضي وعلى كل المستويات، وجاءت حصة وزارة التربية من هذا الدعم والرعاية، الكثير من الاهتمام والمتابعة وتوفير كل متطلبات ديمومة هذا النشاط والمتمثل في رعاية وزارة التربية مباشرة.

هذه الطفرة النوعية التي حصلت بعد الانتفاضة الجماهيرية في ربيع 1991م، حيث أخذت هذه الأنشطة منحىً جديدًا من خلال تذليل المعوقات وتوفير الدعم اللامحدود من لدن المسؤولين، والإقبال الكبير لممارسيها نتيجة اعتقادهم ويقينهم بأن عهد الاستبداد والتسلط قد ولّى من غير رجعة، وبالفعل تم رصد مبالغ كبيرة لهذه الأنشطة المدرسية باعتبارها الرافد الحقيقي لرياضة كُردستان. فعلى سبيل المثال، استمرت إقامة المخيمات الرياضية والكشفية على مستوى المحافظات والأقضية وعلى فترتين سنويًا مرة في الربيع ومرة أخرى في الخريف وعلى نحو متكامل وواسع ولكلا الجنسين، ومن ثم إقامة مخيم كبير وثابت يقام سنويًا في مركز إحدى المحافظات ومشاركة رياضيي المدارس لعموم إقليم كُردستان.

ولم ينحصر النشاط الرياضي المدرسي في إقليم كُردستان في أثناء فترة الدراسة، بل ونتيجة الاهتمام امتدت الأنشطة إلى العطلة الصيفية وخصوصًا في السنوات الأخيرة، حيث تمت إقامة معسكرات تدريبية للطلبة والكوادر المتخصصة (بنين وبنات) ولمختلف المراحل الدراسية من أجل تهيئة الرياضيين للسباقات المدرسية مع بدء الدراسة، وهي فترة تعتبر بمنزلة استعداد وتهيؤ للدخول في معترك السباقات. واستحدثت وزارة التربية في حكومة إقليم كُردستان وبغية تركيز اهتمامها بهذا القطاع قبل سنوات قليلة ماضية مديرية عامة متخصصة بالنشاط الرياضي والكشفي والفني مهمتها توسيع النشاط الرياضي وتوحيد برامجها وجعلها تحت مظلة واحدة. (كامل، 2004م، ص126-127).

مسيرة الصحافة التربوية في إقليم كردستان العراق

مجلة (ئاسۆی ڤەروەردەیی) نموذجًا

شهدت الصحافة التربوية في الإقليم تطورًا ملحوظًا في مسيرتها الإعلامية المتزنة، وخصوصًا بعد أن صدر العدد الأول من مجلة (ئاسۆی ڤەروەردەیی - آفاق تربوية) في أيلول/2000م. وهي مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة التربية لإقليم كردستان العراق باللغة الكردية، تحمل بين دفتيها المكونة من 128 صفحة مواضيع متنوعة يعكس فيها الواقع التربوي والتعليمي في الإقليم، وكذلك تسعى لنشر الوعي التربوي والثقافي والعلمي في المدرسة والأسرة على حد سواء. وتهتم بالدراسات والبحوث التي تقدم من قبل أساتذة الجامعات والاختصاصين التربويين في الوزارة والخبراء العاملين في المنظمات المحلية. وتقوم المجلة بين فترة وأخرى بإجراء استفتاءات على ما يستجد من تجارب في العملية التعليمية، ومن ثم تحليل نتائجها على ضوء المعادلات المستحصلة للاستفادة منها في التخطيط التربوي. وتقوم المجلة أيضًا بعرض نشاطات المؤسسات التربوية والمنجزات التي تحققها الوزارة، مع الاهتمام بتدوين تاريخ التعليم في كردستان والوقوف عند أعلامه الأفاضل.

من المهام الأساسية الأخرى التي تضعها المجلة ضمن أهدافها، تسليط الضوء على تجارب الدول الأخرى من مختلف القارات في مجال التربية والتعليم، وكل التطورات والحالات التي تطرأ على الساحة التربوية في العالم وتغطية أخبارها قدر المستطاع.

أثبتت (ئاسۆی ڤەروەردەیی) خلال عمرها القصير، أنها منبر حر لتبادل الآراء بين الهيئات التعليمية والاختصاصيين التربويين وأصبحت لسان حالهم الأمين في نقد المؤسسات وتقييم المناهج وتشخيص نقاط الضعف في الإدارة من خلال إجراء حوارات مستفيضة وإعداد تحقيقات شاملة ومواضيع متنوعة أخرى تنمي حب الاستطلاع لدى قرائها المحترمين.

المنهج اللغوي المتعدد اللغات في كردستان العراق

واقع الدراسة التركمانية في إقليم كُردستان

بدأ تطبيق لغة القوميات في التعليم، منها اللغة التركمانية في المدارس الابتدائية في المناطق التي توجد فيها كثافة

سكانية للتركمان. ففي السنة الدراسية 1993 - 1994م فتحت ثلاث مدارس باللغة التركمانية وهي:
- مدرسة دوغوش الابتدائية المختلطة في أربيل.
- مدرسة فضولي الابتدائية المختلطة في دهوك.
- مدرسة قره أوغلن الابتدائية المختلطة في كفري.
وتم استحداث مديرية للدراسة التركمانية في ديوان الوزارة وقسم خاص في المديرية العامة لتربية أربيل، وفي سنة 1996م تم استحداث المديرية العامة للدراسة التركمانية في ديوان الوزارة، وتعيين مدير عام لها وكذلك تعيين مستشار وخبير للدراسة التركمانية ومشرف اختصاصي إداري و3 مشرفين تربويين، وبذلك اكتملت هيكلية المديرية العامة بموظفيها ولجانها المتخصصة، وباشرت بأعمالها. ومن أجل تأمين ملاكات المدارس ذات الإلمام الكامل باللغة التركمانية تم فتح قسم اللغة التركمانية في المعهد المركزي ومعاهد إعداد المعلمين والمعلمات في محافظة أربيل، وعندما تخرجت الوجبة الأولى تم تعيينهم في مدارس مركز المحافظة استثناء للقاعدة التعليمية بأداء الخدمة لمدة سنتين في المناطق البعيدة والنائية. وتم إعدادهم في دورات تخصصية لجميع المواد الدراسية باللغة التركمانية للمرحلة الابتدائية.

التعليم السرياني

تتواصل جهود لجنة الترجمة والإعداد لمناهج التعليم السرياني في طبع الكتب الخاصة بالمرحلة الإعدادية. حيث أكملت مطابع وزارة التربية في أربيل طبع كتاب الرياضيات للصف الخامس الأدبي والرياضيات للسادس الإعدادي القسم العلمي والأدبي. كذلك الكيمياء والفيزياء للسادس العلمي وبمعدل (1000) نسخة لكل كتاب.
من جانب آخر وبعد مراجعة كتاب القراءة السريانية الأول والسادس الابتدائي أعيد طبعهما وبالألوان وبمعدل (10000) نسخة لكل كتاب بهدف إيصاله إلى جميع المدارس المشمولة بالدراسة السريانية في محافظات القطر. كما أعيد طبع كتاب العلوم بالسريانية للصف الأول الابتدائي بعد المراجعة التي ترد من خلال تقارير السادة المعلمين والمدرسين في أثناء تطبيقهم للمنهج.
كما أن الاستعدادات جارية لإعادة طبع كتاب العلوم للصفين الثاني والسادس الابتدائي وبالألوان، كذلك الخط السرياني من الأول السادس الابتدائي، والقراءة للصف الثاني الابتدائي والأول المتوسط. (مراد، 2004م ص116-119).
* استخدام اللغة الأرمنية في التعليم الأساسي، خطوة أخرى نحو ترسيخ دمقرطة التربية في الإقليم: أصبحت دمقرطة نظام التربية والتعليم في إقليم كُردستان العراق أمرًا ملموسًا وعملية متطورة تستند إلى أسس ثابتة تتمتع من خلالها جميع القوميات المتعايشة بكامل حقوقها، وهي حرة في اختيار اللغة التي تدرس في المدارس الموجودة في مناطق الكثافة السكانية لهم، وكذلك الطوائف الدينية في تدريس المبادئ الأساسية لدينهم مثل المسيحية واليزيدية، فهناك حسب الإحصاءات الموجودة مدارس تكون الدراسة فيها باللغة العربية أو التركمانية أو السريانية أو الأرمنية في مختلف المراحل من ابتدائية ومتوسطة وإعدادية، وقد أدت الامتحانات العامة (البكالوريا) خلال هذه السنة وهي حالة متطورة من الأداء الإداري والتكنيك التعليمي من حيث وضع المناهج الدراسية وطرائق التدريس وتقويم النتائج.
وقد كان التعليم باللغة الأرمنية مسك ختام هذه التجربة التي تم تطبيقها في منطقة زاخو لوجود نسبة قليلة من القومية الأرمنية فيها. فحسب نسبة كثافة السكان افتتحت مدرستان، إحداهما في مركز قضاء زاخو باسم (ئاظاك) الأرمنية الابتدائية. وقد بلغ عدد تلاميذها 98 تلميذًا وعدد المعلمين 8، والأخرى في قضاء سيميل باسم (آزريك) الأرمنية الابتدائية يداوم فيها 86 تلميذًا وستة معلمين. وتم طبع الكتب المنهجية لهم.
ومن الضروري والمؤمل أن تطبق هذه التجربة في عموم العراق، وتتوسع الآفاق الديمقراطية لتشمل جميع الأطياف التي يتكون منها المجتمع العراقي في مناطقه الجنوبية والوسطى كافة.
قد يصعب على البعض حتى الآن استيعاب خلفية وحيثيات هذه التجربة لأنها تبدأ من خطوة أولى يمكن أن تكون بداية مسيرة في تحول المنحى السياسي والاقتصادي للبلاد، قد تكون نتائج إفرازاتها الحديثة غير مطابقة للوضع المتردي ذي الأسس الجامدة للحكم ومن مخلفات النظام السابق والمؤسسات الاجتماعية الأخرى على حد سواء، بل تكون البديل الأمثل للتحول المؤمل ترسيخه في عموم العراق. (آفاق تربوية، 2004، ص34).

المصادر

- إسماعيل، زبير بلال 1984م: من التراث الكردي (علماء ومدارس في أربيل) مطبعة الزهراء الحديثة- الموصل.
- آرام، صباح 2004م: «المناهج الدراسية وتطبيق حقوق الإنسان» مجلة آفاق تربوية العدد(2)، السنة الأولى .
- آفاق تربوية 2003م:«مسيرة الصحافة التربوية في إقليم كردستان»، مجلة ئاسوى ثةروةرةيى نموذجًا، مجلة آفاق تربوية العدد(1) السنة الأولى، وزارة التربية إقليم كردستان العراق.
- آفاق تربوية 2004م: «واقع الدراسة التركمانية في إقليم كردستان» مجلة آفاق تربوية العدد (2) السنة الأولى وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- آفاق تربوية 2004م: "خطوة نحو تحقيق عملية التربية المدنية"، مجلة آفاق تربوية العدد(2)، السنة الأولى، وزارة التربية -إقليم كردستان- كانون الثاني.
- آفاق تربوية 2004م:"استخدام اللغة الأرمنية في التعليم الأساسي خطوة أخرى نحو ترسيخ ديمقراطية التربية في الإقليم" مجلة - آفاق العدد 3 السنة الأولى- أيار، وزارة التربية إقليم كردستان، العراق.
- بطرس، نوري 2003م، "التعليم الوطني في إقليم كردستان" مجلة آفاق تربوية العدد(1)، السنة الأولى، وزارة

التربية في إقليم كردستان العراق.
- بوتانى، عبدالفتاح علي 2002م: "مدرسة (11) آذار أول مدرسة كردية في مدينة الموصل مع نبذة تاريخية عن التعلم في كردستان العراق"، وزارة التربية إقليم كردستان العراق، سلسلة الكتب التربوية(6).
- سولاقا، صباح بويا 2004م: "ثانوية أربيل للمتميزين في عامها الثالث" مجلة آفاق تربوية، العدد(2) السنة الأولى، ك2 وزارة التربية إقليم كردستان العراق.
- صالح، شلير محيي الدين 2003م: "التربية الخاصة مدارس محافظتي أربيل ودهوك" مجلة آفاق تربوية، العدد(1)، السنة الأولى. وزارة التربية في إقليم كردستان / العراق.
- عزيز، عمر إبراهيم 2004م: "مشروع المدرسة الصدقة"، مجلة آفاق تربوية العدد(2)، السنة الأولى، ك 2، وزارة التربية إقليم كردستان.
- قرني،عبدالله (2003): "دور معاهد إعداد المعلمين في إقليم كردستان العراق" مجلة آفاق تربوية،العدد (1) السنة الأولى، وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- كامل،سردار2004م، " نهضة رياضية مدرسية في إقليم كردستان العراق" مجلة آفاق تربوية، العدد(2)، السنة الأولى/ ك2، وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- كلو، شمو قاسم (3- 2):دراسة الايزيدياني مطلب الايزديين في المرحلة الراهنة مجلة آفاق تربوية، العدد (1)، السنة الأولى، وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- مراد، اكد 2004م: "كتاب القراءة السريانية للصف الأول الابتدائي بين 1974 -1983م" مجلة آفاق تربوية، العد(2)، السنة الأولى، ك2، وزارة التربية كردستان العراق.
- مراد، نادر موشي 2004م: "التعليم السرياني، مجلة آفاق تربوية العدد (2) السنة الأولى، وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- ملاي ره ش،عزيز1986م " الدراسة في الكتاتيب في منطقة سهل أربيل" مجلة المثقف الجديد، العدد(110)، دار الثقافة والنشر الكردية/ بغداد.

هل تحصل كردستان على عضوية الاتحاد الأوروبي؟
أندريا نيترشايدت

بعد اعتقال زعيم حزب العمال الكردستاني عبد الله أوجلان، في 15 فبراير 1999م، أثناء وجوده في ملاذه الأخير، داخل السفارة اليونانية في العاصمة الكينية نيروبي، على يد قوات تركية خاصة، قيل حينذاك إن ذلك تم بالتعاون مع قوات إسرائيلية، في عملية أشبه بالأفلام الأمريكية المليئة بالإثارة، اندلعت في أوروبا موجة من العنف لم تعهدها المدن الغربية من قبل.
خرج أتباع حزب العمال الكردستاني في مظاهرات عارمة، للاحتجاج على هذه العملية، وبعدما قررت سلطات الأمن الأوروبية حظر التظاهر، لجأ الأكراد إلى أساليب مثيرة للفت الأنظار لقضيتهم، فأشعلت النساء الكرديات النار في أنفسهن أثناء التظاهر، وتمكن مئات الأكراد من إغلاق الطرق السريعة (هاي واي) بين الدول الأوروبية، وعندما حاولت فرق الشرطة الألمانية تفريق المتظاهرين، تعرض أفرادها لهجمات عنيفة بالهراوات، ونقلت وسائل الإعلام صور رجال الشرطة، المصابين بجراح بالغة في رؤوسهم. ثم قام بعض الأكراد باقتحام مقرات البعثات الدبلوماسية، وجرى احتجاز ثلاثة دبلوماسيين في القنصلية اليونانية في مدينة لايبزج الألمانية، وفي محاولة مشابهة لاقتحام القنصلية العامة الإسرائيلية في برلين، قتل رجال الأمن الإسرائيليون، أربعة أكراد.
أدت كل هذه الأحداث إلى تراجع ألمانيا عن طلبها السابق بتسليم عبد الله أوجلان، لمحاكمته فوق أراضيها، خوفًا من تزايد حدة العنف هناك، بخاصة بعد أن كشفت وسائل إعلام عديدة، عن استخدام السلطات التركية لأسلحة ألمانية في قمع الأكراد، وتنامي الغضب الكردي، على ألمانيا، الذي وصل إلى حد اتهام الحكومة الألمانية بأنها ساهمت في مؤامرة تركية لتصفية القضية الكردية (انظر مقال أوته رايزنر بتاريخ 23 فبراير 1999، في موقع الاشتراكية الدولية على الإنترنت).
استغلت الأحزاب اليمينية المتطرفة هذه الأحداث، واستنكرت أن تتحول أوروبا، إلى ساحة للقتال بين الأكراد والأتراك، بخاصة بعد تعرض الكثير من المصارف والمؤسسات التركية، إلى الاعتداءات الكردية، وكررت مطالباتها بأن تتخلص أوروبا من الأجانب، رافعة شعار (نحن لا نكره الأكراد...إذا عادوا إلى بلادهم).
ولكن، هذا هو مربط الفرس، أين بلادهم؟
كردستان في المخيلة الأوروبية
جرّب أن تكتب كلمة (كردستان) باللغة العربية على جهاز الكمبيوتر، ستجد المصحح الإملائي يضع تحتها خطًا أحمر، أي أنه لا وجود لهذه الكلمة في اللغة العربية الصحيحة، ثم جرّب بعد ذلك أن تكتبها بأية لغة أوروبية، ستجد أنها كلمة صحيحة، مثلها مثل تركيا، أو العراق، أو إيران، أو سوريا، وهي الدول التي يعيش فيها غالبية الشعب الكردي، البالغ تعداده 30 مليون نسمة، أي أنهم يشكلون القومية الرابعة في الشرق الأوسط، بعد العرب والأتراك والفرس، ولكنهم

على عكس الآخرين، بلا وطن، كما كتب جونتر ديشنر في كتابه الصادر حديثًا بعنوان (الأكراد - شعب بدون وطن - بين التاريخ والآمال).
ويرتبط اسم الأكراد عند الغرب، بهذا الشعب الذي حاول الكثيرون طمس هويته، لكنه بقي رغم كل هذه المحاولات، معتزًا بتراثه، رغم ما كلفه ذلك من تشريد، وقهر، وترحيل، منعوه أن يؤلف الكتب بلغته، بل جرى فرض العقوبات على الكردي الذي يتحدث بغير لغة مجتمع الأغلبية، ومع ذلك بقيت هويته تجري في دمه، يتحدث بها في الخفاء، ويهديها لأبنائه في السر.
الكردي كان يعني في المخيلة الأوروبية، (الضحية)، ضحية السياسات العالمية، ضحية اتفاق الجيران، ضحية الوعود الكاذبة، في عام 1920م، بعد انهيار الدولة العثمانية، وفي أعقاب حرب تحرير الكويت، ثم هو ضحية الصراعات الداخلية، برزاني، ضد طالباني، وكلاهما ضد أوجلان، ثم ثلاثتهم ضد (أنصار الإسلام) بزعامة الملا كريكار. كلما تحالف مع طرف طعنه في ظهره، ففقد الثقة في الجميع، وقرر البعض الصمود، وقرر البعض الآخر الهروب، وبدأت رحلة الغربة خارج بلاده، بعد أن شعر بالغربة داخل أرضه.
الطلاب الأكراد في أوروبا
بدأ الوجود الكردي في أوروبا منذ عام 1895م، حيث قدم طلاب ودبلوماسيون أكراد، إلى الدول الإسكندنافية (النرويج والسويد وفنلندا)، وإلى فرنسا، وإيطاليا والنمسا، ولكن المعلومات عنهم، قليلة للغاية، لا تزيد على كونهم هربوا من الدولة العثمانية، التي كانوا ناقمين عليها، وأنهم كانوا يؤكدون (هويتهم الكردية).
وذكرت مصادر ألمانية أن كرديًا اسمه جواد كافي، جاء إلى برلين عام 1904م، قادمًا من إيران، وعمل في جهة صحفية. أما الطلاب الأكراد في سويسرا، فقد أسسوا في مدينة لوزان، في عام 1913م، فرعًا لرابطة طلابية كردية، مقرها الرئيس في إسطنبول.
ثم يشير مؤرخو الأكراد في أوروبا، إلى شخص اسمه حلمي عباس، كان أبوه كرديًا، وأمه نمساوية، استقر في ألمانيا، بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، ونشر كتابًا اسمه (أغاني الحرب والحب الكردية القديمة).
وفي عام 1948م كان هناك خمسة أكراد يدرسون في سويسرا، اثنان منهم من إيران، وثلاثة من سوريا، وبعد تعرض كردي عراقي، كان يدرس قبل الحرب العالمية الثانية في أوروبا، إلى أزمة مالية كبيرة، قام هؤلاء بجمع المساعدات له، وعندها نشأت فكرة إقامة اتحاد للطلاب الأكراد في أوروبا، على نمط تجمعات الطلاب من بقية الأعراق، وتأسس (اتحاد الطلاب الأكراد في أوروبا) في عام 1949م، ولكنه لم يصمد طويلاً، بسبب الخلافات الداخلية بين أعضائه، خصوصًا وأن القائمين على الاتحاد قرروا التركيز على الهوية الكردية، وتجاهل أي فروق ناجمة عن الانتماء القطري للأكراد.
ومن الجدير بالذكر أن الطلاب الأكراد القلائل، الذين كانوا يدرسون في أوروبا، خصوصًا في سويسرا، وإنجلترا، وفرنسا، والنمسا، وتشيكوسلوفاكيا السابقة، كانوا من أبناء الطبقات الموسرة، ومن أسر رفيعة الثقافة، في كلّ من: تركيا وسوريا والعراق وإيران. وكان تمويل الدراسة في البداية على النفقة الشخصية لهذه الأسر، ثم أصبحت الدراسة متوفرة عن طريق منح من جهات حكومية، في هذه الدول، ثم منح من منظمات كردية.
ومع مرور الوقت أقام الطلاب الأكراد في سويسرا، علاقات مع بقية الطلاب والعلماء الأكراد في بقية دول أوروبا، وقاموا بأنشطة ضخمة، خصوصًا في مجال النشر، ولكن هذا الاتحاد عاد إلى التفكك، بفعل ضغوط التنظيمات الطلابية ذات التوجهات الشيوعية في بلادهم الأصلية، التي جاؤوا منها.
وقد صرح أحد كبار مؤسسي الاتحاد الكردي في سويسرا، وهو نور الدين ظاظا، بأنه يرى أن أنشطة الاتحاد في ذلك الوقت كانت بمنزلة صرخة استغاثة، أطلقها الشعب الكردي، في مواجهة المخاطر المتعلقة بوجود شعبه بأكمله. (انظر بيرجيت أمان: الأكراد في أوروبا).
ومن الشخصيات الكردية التي اشتهرت في مطلع القرن العشرين، عالم الأدب كاموران بديرخان، الذي درس في جامعة لايبزج الألمانية، والتي حصل منها على درجة الدكتوراه، في عام 1926م، وأصبح منذ عام 1947م محاضرًا في علوم اللغة الكردية، بالجامعات الفرنسية، وفي العام التالي أسس مركزًا للغة الكردية، أصبح نقطة جذب لعدد محدود من الطلاب صغار السن، الذين قدموا من مختلف المناطق الكردية، وفي عام 1960م انضم إليه محاضرون آخرون، لتدريس التاريخ والثقافة الكرديين.
وفي الوقت نفسه كان شخص كردي اسمه توفيق وهبي، كان يشغل من قبل منصب وزير في العراق، قد جاء إلى بريطانيا، وعمل في التدريس في معهد لندن للدراسات الشرقية والإفريقية.
وعاد الطلاب الأكراد في عام 1956م لتأسيس اتحاد جديد لهم، ضم 17 طالبًا، واختاروا اسمًا كرديًا، ثم غيروه إلى اسم KSSE آخر باللغة الإنجليزية في عام 1959م ليصبح (جماعة الطلاب الأكراد في أوروبا) ، وبعد سقوط الحكم الملكي في العراق، ارتفع عدد الطلاب الأكراد القادمين من العراق، إلى أوروبا، وانضم الكثيرون منهم إلى الجمعية، حتى أن الطلاب الأكراد افتتحوا فرعًا لهذه الجمعية، في العاصمة التركية، في عام 1962م، ولكن السلطات التركية اكتشفته، وقامت بحل الفرع، وبقي الكثيرون من الطلاب الأكراد يشعرون بالانتماء لهذه الجماعة، حتى نهاية السبعينيات.
وبعد أن أصبحت أنظمة الحكم في دول المنطقة، قريبة من الكتلة الشرقية، ذات التوجهات الاشتراكية، قدمت دول أوروبا الشرقية المنح الدراسية للطلاب من كل من العراق وسوريا، وبلغ اهتمام دول شرق أوروبا بالقضية الكردية، إلى درجة أن جمهورية ألمانيا الديمقراطية السابقة، بدأت في بث برامج باللغة الكردية، على أربع فترات في اليوم، من إذاعتها

في برلين.
، وفي حين كان عددهم عام KSSEومرة أخرى زاد إقبال الطلاب الأكراد على (جماعة الطلاب الأكراد في أوروبا) 1962م حوالي 250 عضوًا، أصبح في عام 1965م حوالي 450 عضوًا، كان أكثر من نصفهم يدرسون في الدول الناطقة باللغة الألمانية (ألمانيا والنمسا والشطر الناطق بالألمانية في سويسرا)، وبعد أن بلغ عدد أعضائها في عام 1975م، ما يقارب الـ 3000 عضو، أغلبهم من أكراد العراق، مقابل 100 - 200 فقط من سوريا، حدثت انشقاقات داخل الجماعة، خصوصًا بعد أن توسعت أنشطتها كثيرًا، ولم تعد تقتصر على متابعة قضايا الطلاب فقط، بل بدأت تشمل الاهتمام بقضايا العمال الأكراد النازحين إلى أوروبا.
هجرة العمال الأكراد إلى أوروبا
في نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت ألمانيا وغيرها، قد فقدت ملايين الرجال في المعارك، التي جرت في الاتحاد السوفيتي، وفي إفريقيا، وبفضل مشروع مارشال وغيره، استطاعت هذه الدول أن تحقق انتعاشًا اقتصاديًا، كبيرًا، وظهر عجز كبير في اليد العاملة، فلجأت دول وسط أوروبا، إلى جلب العمال من دول جنوب القارة، من إيطاليا وإسبانيا، واليونان، ولكن أغلب العمال الأجانب في ألمانيا مثلاً، كانوا من تركيا، وكان هناك إقبال من العمال من تركيا، وبينهم الكثير من الأكراد، على القدوم، بسبب ارتفاع نسب البطالة في بلادهم، وانخفاض المستوى المعيشي، ووقوع الكوارث الطبيعية، مثل الزلازل.
وكانت عملية جلب العمال تتم في إطار اتفاقيات بين الدول أحيانًا، وفي كثير من الحالات، كانت المؤسسات الصناعية تتولى اختيار العمال وجلبهم، دون الاستعانة بوزارات العمل لدول وسط أوروبا، التي فتحت مكاتب خارجية في الدول المصدرة للعمالة.
بدأت ألمانيا في استقدام العمالة من تركيا في الخمسينيات، وبلغت نسبة العمال الأتراك إلى غيرهم من العمال الأجانب 85%، ووقعت ألمانيا وتركيا في عام 1961م اتفاقية لتوفير العمالة، إلا أن أكبر عدد من العمال الأتراك، جاء في عام 1967م. وكانت نسبة الأكراد بينهم، حوالي 50%، بسبب حدوث زلزال مدمر في منطقة فارتو، تلاه وقوع صدامات مع الأمن التركي في منطقة ماراس، وفي عام 1971م وقع زلزال جديد، في منطقة بنجول، فقررت السلطات التركية إعطاء الأولوية للعمال الأكراد، وهو الأمر الذي يستبعد الكثيرون أن يكون دافعه إنسانيًا، بل كان بهدف التخلص من أكبر عدد ممكن من الأكراد، وإذابة من تبقى منهم في مجتمع الغالبية، وهو الأمر الذي تدعمه أقوال العمال الأكراد، بمطالبة السلطات التركية لهم، بمغادرة تركيا، والذهاب للعمل في ألمانيا فورًا.
كانت خطط الدول الأوروبية المستقبلة للعمالة أن يعود هؤلاء الذين أسمتهم (العمال الضيوف)، بعد انتهاء مدة الاستضافة، ولم تكن هناك أي بيانات مؤكدة توضح نسبة الأكراد بين العمالة التركية، والتي تراوحت في البداية تبعًا للتقديرات إلى ما بين 20 % و 25%، قياسًا على نسبة الأكراد في تركيا. وتشير المعلومات المتوفرة، إلى أن الهجرة الكردية إلى أوروبا، تأخرت بعض الشيء عن قدوم العمالة التركية.
وتشير التقديرات أيضًا إلى أن نسبة الأكراد في الفترة من عام 1963م - 1967م بلغت حوالي 6,7، وزادت في الفترة من 1968م إلى 1973م، إلى 8%، وفي عام 1970 كان الكثير من الأتراك القادمين من تركيا، من إقليم الأناضول ذي الغالبية الكردية.
وتذكر بعض الدراسات الكردية أن أعداد المهاجرين الأكراد إلى ألمانيا بلغت، ما يلي:
في عام 1961م حوالي 1470 شخصًا، وفي عام 1968م حوالي 9100، وفي عام 1970م حوالي 21000، وفي عام 1973م، حوالي 19650 .
ثم بدأت فرص العمل المتوفرة تصبح أقل من الإقبال الكبير، من جانب العمال في تركيا، فأصبح العامل يسجل اسمه في قوائم انتظار حتى يحالفه الحظ، ولكن بقيت فرص عمل النساء متوفرة. وبلغت نسبة وظائف النساء بين العمال الأجانب في عام 1966م حوالي 17%، وفي عام 1972م حوالي 25%، بل إن أصحاب العمل الألمان كانوا في بعض الأحيان يفضلون النساء، مبررين ذلك بأنهن «أكثر هدوءًا، وأقل مطالب، وأكثر اجتهادا، ويرتضين برواتب أقل».
وحتى لا تكلف الشركات الصناعية عناء التفتيش عن عمال جدد، أصبحت تقبل قيام العمال الأجانب لديها، بترشيح عمال جديد، تطلبهم بالاسم من بلادهم، وفي حين كانت نسبة العمال القادمين عن طريق الترشيح، في عام 1965م حوالي 13% فقط، بلغت في عام 1968م حوالي 40%. وكانت الشركات ترى أنها بذلك تضمن الانسجام داخل المصنع، لوجود علاقات بين العمال القدامى والجدد، إضافة إلى ضمان قيام هؤلاء العمال القدامى، بمساعدة الجدد على البحث عن سكن، وسرعة تأقلمهم مع العمل، ما أحدث ظاهرة (الهجرة المتسلسلة)، بمعنى أن قدوم شخص من قرية ما، أصبح يعني تدريجيًا، نزوح الكثيرين من القرية نفسها، وغالبًا الأسرة نفسها، واستطاع هؤلاء لما بينهم من روابط عائلية، وقرابة، أن يؤسسوا اتحادات ترعى مصالحهم، في منطقة بعينها.
وجد الكثيرون من العمال الأكراد القادمين، من تركيا، في التجمع الجديد، فرصة تعوضهم عن العزلة العرقية واللغوية، وأحيانًا الدينية، التي كانوا يعانونها خصوصًا أولئك المنتمون للطوائف العلوية واليزيدية، والشركس والأرمن.
ولم تكن ألمانيا وحدها هي التي وقعت اتفاقية استقدام عمالة من تركيا، بل قامت بالأمر نفسه كل من: هولندا، وبلجيكا، والنمسا، وفرنسا، وبريطانيا، والدانمارك، وحتى الدول التي لم تفعل ذلك مثل سويسرا، سمحت للشركات أن تفعل ذلك مباشرة، دون تدخل الجهات الحكومية في ذلك، وفي فرنسا فشلت الجهات الحكومية في استقدام العمال، فتولت الشركات في عام 1964م القيام بذلك، وكان العمال الذين يفشلون في الحصول على عقود عمل في بلادهم، يأتون إلى فرنسا أولاً

كسائحين، ثم يسعون للبقاء بعد العثور على وظيفة. وقد توصلت الدراسة التي أعدها محسني زاديادي إلى أن فرنسا كانت ثاني أكبر الدول الأوروبية المستقدمة للعمالة من تركيا، إلا أن نسبة الأكراد بين العمال الأتراك في فرنسا، أقل من نسبتهم إلى مجموع السكان في تركيا. على عكس السويد التي جلبت عمالتها التركية من منطقة كونيا، ذات الثقافة الكردية الغالبة.

وتشير إحصائيات كردية إلى أن عدد العمال الأكراد في فرنسا بلغ عام 1964م حوالي 100 عامل فقط، مقابل 4000 في السويد، وكانت نسبة الأكراد المتوجهين إلى بريطانيا أيضًا قليلة.

أكراد أم أتراك

صحيح أن الأكراد كوّنوا جمعيات خاصة بهم، بعضها للطلاب وبعضها الآخر للعمال، ولكنها لم تكن تهدف في المقام الأول إلى إبراز الهوية الكردية، أو إحياء الوعي الإثني، أو الشعور بالذات، والاعتزاز بها، ورغم ما يقال عن اختلاف بين جمعيات الطلاب، التي كانت أعلى من ناحية المستوى الثقافي، ولكنها كانت تركّز على توفير الدعم، مثل تخصيص شقق لسكن الطلاب الجدد، وإعانتهم على تجاوز أزماتهم المادية، بل إن بعض الدراسات تزعم أن الأكراد كان يتملكهم شعور بالنقص، أمام الأتراك، خاصة منذ أن اعتبرهم كمال الدين أتاتورك، «أتراك الجبال»، بلا تاريخ، ولا لغة ولا ثقافة، مما دفع بعضهم لمحاولة التقرب من الثقافة التركية، التي كانوا يؤمنون بتفوقها.

كان الأكراد قد انتقلوا من تركيا، ليعيشوا من جديد بين الأتراك، وكانت السلطات الألمانية تعاملهم كأتراك، ولا توفر لهم دورات لغة، أو أي رعاية اجتماعية، باعتبارهم أكرادًا، وزاد الطين بلة، أن عينت السلطات الألمانية موظفين أتراكًا للمساهمة في التعامل مع العمال القادمين من تركيا، فوجد الأكراد أنفسهم مضطرين إلى التعامل مع مسؤولين أتراك، حتى خارج تركيا. حينما رأت الدول الأوروبية أن أعداد العمال التي جلبتها في خلال السنوات الماضية، يكفي لتغطية حاجتها، قررت في عام 1973م وقف استقدام العمالة، وعندها بدأت نتيجة عكسية، إذ زادت أعداد الأتراك بصورة كبيرة جدًا، لخوف الأكراد من إغلاق الحدود أمامهم، واستغل العمال كل القوانين، فلجؤوا إلى قانون (لم الشمل)، والذي يعطي الشخص الحق في الحصول على إقامة لأفراد أسرته، ومن لم يكن من العمال قد تزوج بعد، بادر بإحضار زوجة من تركيا، حتى لا تضيع منه الفرصة، وآخرون استغلوا بنود قوانين اللجوء السياسي، التي كانت تعطي أي شخص الحق في تأليف قصة مزعومة، عن تعرضه للاضطهاد في بلاده، ليقدم طلبًا، فتوفر له السلطات السكن والعلاج، والملابس، وكل ما يحلم به، وتمنعه من العمل، وعندما يأتي الدور على طلبه، بعد مرور ثلاث سنوات على الأقل، وتحكم المحكمة المختصة برفض طلبه، يرفع استئنافًا على الحكم، يتطلب البت فيه عامين آخرين، يعود ليحصل فيها على كل المميزات، له ولأسرته، وبعد رفض طلبه ثانية، يكون أبناؤه قد قضوا خمس سنوات في المدارس الألمانية، واندمجوا في المجتمع، وأصبحوا غرباء على وطنهم الأصلي، فتقرر المحكمة رفض طلب اللجوء، ولكنها تمنع السلطات من ترحيل الشخص، وتفرض منحه حق العمل، وبعد مرور ثلاث سنوات، يثبت فيها قدرته على الاعتماد على نفسه في الحصول على دخل، يحصل على الإقامة الدائمة، وبعدها يحصل على الجنسية. كما اكتشف آخرون أن الدراسة في ألمانيا مجانية، ولا تحدد فترة معينة للانتهاء من الدراسة، فدخلوا الجامعة في العشرين من عمرهم، وبقوا فيها، حتى بلغوا الستين.

وبالتالي لم يحقق قانون وقف استقدام العمالة، خفض أعداد النازحين الجدد، من (العمال الضيوف)، بل على العكس أدى إلى ارتفاع أعداد القادمين من تركيا، ومن بينهم الأكراد، إلى معدلات قياسية، بحيث بلغ عددهم في ألمانيا وحدها عام 1973م، حوالي مليوني عامل من تركيا.

وفي عام 1980م وبعد حدوث الانقلاب العسكري في تركيا، غادر كثير من الأكراد أراضيهم في تركيا، وحاولوا الوصول إلى أوروبا الغربية، والبقاء فيها بأي وسيلة، كما تسبب تزايد أعمال الاضطهاد الذي تعرض له العلويّون، واليزيديون، إلى فرارهم إلى الخارج.

أكراد أم عرب

تشير بيرجيت أمّان في أطروحتها للدكتوراه، إلى أن أوضاع الأكراد في الدول العربية، لم تكن أفضل على الإطلاق، بل قام حزب البعث في أحدها بتكليف شخص اسمه محمد طلاب هلال، بوضع برنامج (لحل المشكلة الكردية)، في اثنتي عشرة نقطة، وهو البرنامج الذي اعتمدته بقية دول المنطقة، ولكن بدرجات متفاوتة، والذي نص على ما يلي:

* ترحيل الأكراد من مناطقهم الأصلية، إلى مناطق في داخل المدن المركزية، حتى يكونوا تحت المراقبة، وبحيث يمكن اجتثاث جذورهم من الأراضي الكردية، وحتى يسهل ذوبانهم وانصهارهم في مجتمع الأغلبية.
* محاولة فرض التخلف الثقافي عليهم، بوقف تعليمهم بلغتهم الكردية، بل وباللغات الأخرى، واعتبار أي دروس لهم، بمنزلة مخالفة القوانين، التي تنص على حظر التجمعات، والحيلولة بذلك دون قيام وعي بالهوية الكردية.
* ترحيل الأكراد من بلادهم، حتى يصبحوا معدومي الحقوق، وعلى رأسها حق المواطنة، بالتعاون مع حكومات دول الجوار، التي تسكن فيها أقليات كردية.
* فرض تدني الحالة الاقتصادية عليهم، عن طريق تفضيل أفراد مجتمع الأغلبية في الحصول على فرص العمل.
* انتهاج مبدأ (فرّق تسد)، وذلك بإشعال الخلاف بين الأكراد أنفسهم من ناحية، وبينهم وبين الجماعات العرقية الأخرى، من ناحية ثانية.
* إلغاء صلاحيات المؤسسات الدينية الكردية، وأن يستبدل بها مؤسسات دينية، موالية للحكومة.
* محاولة شق صفوف الأكراد، بالتركيز على إثارة النعرات بين سكان المناطق المختلفة، وتباين الأوضاع القانونية

للجماعات الكردية، بتفضيل بعضها وحرمان بعضها الآخر.
* توطين تجمعات عربية معروفة بمعاداتها للأكراد، بسبب ما تتميز به هذه التجمعات العربية، من تردي الحالة الاقتصادية، وذلك في المناطق الحدودية، مع بقية دول الجوار، بحيث لا تقوم هوية كردية عابرة للحدود.
* تطبيق الخطط السابقة عن طريق عسكرة هذه المناطق، والانتشار الدائم للقوات المسلحة فيها.
* عسكرة المواطنين غير الأكراد في المناطق الكردية، وتزويدهم بالسلاح، وإشعارهم بأنهم يمثلون الدولة هناك.
* إلغاء جميع حقوق المواطنة لمن لا يتقن لغة الدولة.
* استبعاد منح أي حقوق قانونية للنازحين الجدد من الأكراد.
ومن المعروف أن بعض الحكومات، لم تتورع عن نزع ملكية الأراضي من الأكراد، دون مبرر قانوني، وتعريض الأراضي للبوار، وبناء عشرات السدود، ومحطات الكهرباء، في أراضيهم، وتعريض البيئة إلى أضرار لا يمكن علاجها، مثل تسميم ينابيع وعيون المياه، بحامض الكبريتيك، ورفع نسبة الملوحة في الأراضي الزراعية، وزرع الألغام في المناطق التي وقعت فيها مواجهات بين الأكراد وحكومات الدول التي يسكنون فيها.
أعداد الأكراد في كل أوروبا
ساد انطباع لدى البعض في أوروبا، أن الأكراد يسعون للانتقال إلى أوروبا، وتأسيس كردستان بديلة في الخارج، إذ بلغت نسبتهم بين الأتراك الذين قدموا طلبات اللجوء السياسي في عام 1989م، ما لا يقل عن 60%، وارتفعت هذه النسبة في عام 1997م إلى حوالي 80%، وكذلك تراوحت نسبتهم في سويسرا، ما بين 70 % و 80%، حصل منهم عام 1998م حوالي 50% على حق اللجوء، وارتفعت النسبة في نهاية التسعينيات، إلى 74%.
وكذلك الحال في فنلندا وبريطانيا، ففي مدة شهرين فقط من عام 1989م، بلغ عدد الأكراد طالبي اللجوء حوالي 3000 شخص، كلهم من الأكراد العلويين، وبين 1989م و1995م قدم 10.000 كردي طلبات لجوء إلى بريطانيا، وحصل 30% منهم، فعلاً على حق اللجوء.
وفي آخر عامين من القرن العشرين احتل اللاجئون من العراق وتركيا، المرتبة الثانية إلى الرابعة في 25 دولة أوروبية، وبلغ عدد الأكراد النازحين من إيران عندئذ حوالي 100.000 في أوروبا كلها.
وتدل الإحصائيات على أن الفترة من 1990م إلى 1998م، قد جلبت أعدادًا غفيرة من الأكراد إلى أوروبا، بلغت في ألمانيا 32.000 شخص، وهولندا 23.000 شخص، والسويد 15.000، واليونان 9.000، والنمسا 6.500، وبريطانيا 5.500، وفرنسا 5.500 .
وإذا علمنا أن هناك حاليًا مليون كردي تقريبًا في أوروبا، عرفنا سبب تأثر أوروبا بأي أحداث تتعلق بالقضية الكردية، فهناك حوالي 600.000 كردي في ألمانيا، و70.000 في فرنسا، و60.000 في هولندا، و30.000 في سويسرا، و40.000 في بريطانيا، و40.000 في النمسا، و15.000 في الدانمارك، و30.000 في السويد، و40.000 في بلجيكا، أغلبهم من إيران، و25.000 في اليونان وقبرص، و8.000 في إيطاليا، و3.000 في فنلندا، و5.000 في النرويج، و10.000 في أوروبا الشرقية.
وبذلك يزيد عدد الأكراد في أوروبا على أي دولة غير إيران وتركيا والعراق وسوريا، فعددهم أكثر من أعداد الأكراد في لبنان، أو جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقًا.
الأوضاع المعيشية والطبقات الاجتماعية
وتتفاوت الأوضاع المعيشية لهؤلاء الأكراد في أوروبا، ففي حين يعيش ثمانية آلاف كردي في اليونان، حياة متواضعة للغاية في معسكرات للاجئين، تشكل الجالية الكردية في إيطاليا تجمعًا من الفنانين والرسامين، أما في أوروبا الشرقية، وبالتحديد في كل من: بلغاريا وبولندا ورومانيا والمجر، ويوغسلافيا السابقة، وتشيكوسلوفاكيا السابقة، فالأكراد عبارة عن دارسين، أو طلاب سابقين جاؤوا من العراق أو سوريا.
ويشير علماء الاجتماع الأوروبيون، إلى أنه كان طبيعيًا أن يتعرض كل الأكراد النازحين الجدد، إلى شعور بالغربة، وصراع بين الموروث، وبين القيم السائدة في مجتمعهم الجديد، والشعور بالانعزال بعيدًا عن الأسرة والقبيلة.
ونظرًا لعدم إلمام العمال الأكراد القادمين باللغة الأجنبية، التي يتحدث بها سكان الدول التي انتقلوا إليها، وتبريرهم ذلك دومًا بأنهم سيعودون يومًا إلى وطنهم، حدثت بينهم وبين المجتمع الجديد جفوة، بل وأحيانًا عداوة، بسبب جهل كل منهما بالآخر. ثم حدثت صراعات داخل الأسر الكردية، بعد التغير الذي طرأ بفعل الواقع الجديد، على مكانة المرأة، وعلاقة الأبناء بالوالدين، ولكن رغم التحاق الأبناء من الجيل الثاني والثالث بالمدارس الألمانية، إلا أنهم تأثروا بثقافة الأهل، والأجداد، والتي كانت أحيانًا أكثر هيمنة، مما يتعلمونه في المدارس.
وقد دلت دراسات ألمانية، أجريت على عمال أكراد في الثلاثين من عمرهم، أن 40% منهم حصلوا على الشهادة الابتدائية، وأن 90% منهم يعملون في وظائف متدنية، لا تحتاج إلا إلى القوة البدنية فقط، وتبين أيضًا أن متوسط عدد الأطفال لدى الأسر الكردية أكثر من نظرائهم الأتراك، وأنه كلما ارتفع المستوى الثقافي للأهل، انخفض عدد الأطفال.
وفي استطلاعات للرأي لهم، تبين أن 75,3% يشكون من مشاكل في السكن، و69,3% لديهم صعاب في أماكن العمل، و62,6% يعانون مشاكل متعلقة بتربية الأطفال، واشتكى 51% من تعرضه لسوء المعاملة من المجتمع، وشعور 27% منهم بالضياع والحيرة، و3,7% فقط، من نقص أماكن قضاء أوقات الفراغ. علمًا بأن 88% منهم، يقضون وقت الفراغ في زيارة الأهل والأصدقاء، ومشاهدة برامج التلفزيون معًا.
ومن الناحية الأخرى توصلت دراسات على النساء التركيات والكرديات، إلى أن أكثر من نصف التركيات ولدن في

المدن، مقابل غالبية عظمى من الكرديات في القرى، مع حرص الكرديات على ذكر القبيلة التي ينتمون إليها، وذكرت غالبية الكرديات أنها متزوجة من نفس القبيلة، وفي حين تعتنق الغالبية العظمى من التركيات في ألمانيا مذهب أهل السنة والجماعة، فإن 57,6% من الكرديات هناك، هن من أتباع الفرقة العلوية، وفي حين نشأت غالبية الكرديات في أسر يعمل الوالد فيها مزارعًا أو راعيًا للماشية، فإن ثلث التركيات فقط نشأن في كنف أب مزارع، وبلغت نسبة الأمهات الكرديات المزارعات، حوالي 85%، مقابل 22% من الأمهات التركيات، اللاتي كن يعملن في الزراعة. وفي حين ذكرت 66% من الكرديات أنهن لم يلتحقن بالمدرسة، كانت نسبة التركيات 44%. وتتزوج الكرديات في عمر يتراوح بين 14 و 17 سنة، أما التركية ففي عمر 15و 18 سنة. واتضح أن ارتباط المرأة الكردية بأسرتها أكثر من نظيرتها التركية، ولذلك انخفضت نسبة المطلقات بين الكرديات. وفي حين تحتك التركية بالمجتمع الألماني، تفضل الكردية البعد عن المجتمع الجديد، والاقتصار على المعارف والأهل من الأكراد.

الخلاصة

مليون كردي يعيشون في أوروبا، ربما يعودون إلى وطنهم، إذا عاد إليهم هذا الوطن، وربما فضلوا البقاء في الغربة، التي أصبحت وطنًا جديدًا لهم، ولعل الأم التي وصفت ابنها بأنه «كردي في البيت، تركي في الشارع، ألماني في المدرسة»، أو ما قاله شخص كردي في تعريف من الكردي؟، بأنه «الشخص الذي كان أبوه كرديًا» ثم عاد بعد عشر سنوات، ليقول «أعتقد أن الكردي، هو من يشعر في داخله أنه كردي، وليس بالضرورة من كان أبوه كرديًا»، لعل محاولات التعريف هذه، تبين التردد الذي ينتاب هذه الأقلية، التي يرفض الكثيرون منحها حق تقرير مصيرها.

عمومًا لا يستطيع أحد أن ينكر أن قبول الاتحاد الأوروبي بدء التفاوض مع تركيا على الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، كان مرتبطًا بمنح هذه الأقلية بعضًا من حقوقها، مثل بث برامج باللغة الكردية، ووقف انتهاكات حقوق الإنسان التي كانوا يتعرضون لها، وعندما يحين موعد انضمام تركيا إلى الاتحاد، سيكون جزء من أراضي كردستان، قد التحق بهذا الاتحاد، حتى إذا حصل الشعب الكردي على أراضيه، أصبحت كردستان كلها عضوًا في الاتحاد الأوروبي، الذي يدين له الأكراد بدعم مطالبهم، رغم ما قام به أتباع أوجلان، ولكن أوروبا تدرك جيدًا أن الشعب الكردي، أكبر بكثير من أوجلان وأتباعه، ولعلها لا تدري أنهم أحفاد صلاح الدين الأيوبي، وربما كان هذا أفضل.

المراجع:

-Brigit Ammann: Kurden in Europa, Lit Verlag, Münster, 2000
-Guenther Deschner: Die Kurden - Volk ohne Staat, Geschichte und Hoffnung, Herbig Verlag, M*nchen2003 ,
-Kurdische Studien, 1/ (2001) 2, Lit Verlag, M*nster 2001
-Ute Reissner: Die Rolle der Bundesregierung bei der Verhaftung Oecalans, Hrsg .Internationalen Komitee der Vierten Internationael ,www.wsws.org

---

الولاء للأسرة ثم للقبيلة

خالد سيف الدين

كان المجتمع التركي قديمًا يتكون من قبائل بدوية متنقلة أو شبه متنقلة على النمط الذي عاشوا عليه من مئات السنين، وهذا التنظيم يعتمد على الزعيم الديني والقبلي (ريس ساروخ أو شيخ) وينقسم المجتمع إلى الشيخ وعائلته والطبقة الأرستقراطية والقرويين العاديين ثم الزراع والرعاة. وهذا المجتمع يتميز بالفردية، وغالبًا ما ينقسم على بعضه، وحتى هذا الوقت لم يجتمع الأكراد على وحدة يلتفون حولها، ويكون الولاء نحو العائلة في المرتبة الأولى ثم القبيلة في المرتبة الثانية، وحتى القبيلة تتكون من مجموعات مشتركة في المنطقة، وغالبًا ما تنشأ مشاكل بين المجموعات والعائلات الكردية. وقد ظهر هذا جليًا في الانشقاق الذي حدث بين الأكراد عندما أسس الملا مصطفى البرازاني الحزب الديمقراطي الكردستاني فقد انضم آلاف الأكراد إلى حزب البعث متشككين في دوافع مصطفى البرازاني، كما حدثت الحرب بين الأكراد الأتراك والأكراد العراقيين. وعلى الرغم من ذلك يدّعون أنهم يكوّنون تميزًا لغويًا وعرقيًا ومجتمعيًا وليسوا أناسًا تجمعهم أرض فقط. وتعتبر الأسرة أهم وحدة اقتصادية واجتماعية في المجتمع الكردي فبطبيعة الحال يكون أي فرد من العائلة جزءًا من المجتمع، فالفرد يتبع للجماعة داخل الأسرة وله الحق في الزراعة والعمل وتربية الأبقار.

خضعت الأسرة الكردية لتغيرات عديدة. فالأسرة الكردية في مرحلة انتقالية في المناطق الحضرية تحاول أن تتماشى مع متطلبات العصر الحديث، بينما في الريف فإن تأثير الحياة المدنية عليها قليل، والأساس المتين الذي تقوم عليه الأسر في الريف الأرض الزراعية، فالرجل الغني أو صاحب الأرض عادة ما يكون متعدد الزوجات، أما الرجل الفقير فله زوجة واحدة. وتعدد الزوجات غالبًا ما يرتبط بالمقدرة المالية، وتقوم الأسر الغنية بتزويج أبنائها ببنات الأسر الغنية، وينظر إلى الذرية على أساس أنها ضمان اجتماعي عند التقدم في السن، إضافة إلى قيمة النسل في أداء الأعمال في الزراعة. والزواج في الأسر الكردية يتم بتخطيط من الأب فهو يدفع المهر لابنه، أما دور الأم فيعتبر استشاريًا فقط، ويتم الاختيار

على أساس مكانة العروس الاجتماعية وصحتها ومقدرتها على العمل في الحقل وأخلاقها بالطبع. وهذا الانتقال من حياة إلى أخرى في بعض الأحيان يكون مأسويًا بسبب ترتيب الزوجة في الأسرة الجديدة، كما أن والدة العريس لا تتحدث مع العروس إلا بعد أن تضع مولودًا لولدها.

المرأة الكردية

تستيقظ من الفجر ولا تذهب للنوم إلا عند منتصف الليل، وبين هذين الوقتين تكون في عمل متصل، فبالإضافة إلى أعمال الطبخ والغسل والواجبات المنزلية يجب عليها أيضًا أن تعد الخبز وتحلب الأبقار وتعمل في الزراعة وتجمع الحطب للنار وتحضر الماء، وبعض الأسر الميسورة تقوم باستئجار عاملة لتلك المهام، وهذا يعتبر تمايزًا بين الأسر الفقيرة والغنية. ولكن المرأة في الأسرة الغنية لا تملك حرية كالتي تملكها المرأة في الأسرة الفقيرة نسبة؛ لأن كل الأعمال التي تتطلب حركة تقوم بها الخادمة، كما أنهن لا يقمن بأي عمل جماعي خارج المنزل.

لمحات عامة: الكرد في بيئتهم

محمد الدعمي ـ بغداد

قفز اسم «الكرد» أو الشعب الكردي إلى صدارة ما يسمى بـ«أخبار الساعة» بعد الأحداث الجذرية والجسام التي جرت في العراق وما تلاها من تداعيات.

ويبدو أن سياسات الدول التي تضم من بين سكانها أجزاء من الشعب الكردي قد حاولت طوال سني القرن العشرين أن تفرض ستارًا فولاذيًا «ستالينيًا» على هذا الشعب المظلوم وعلى نضاله من أجل بلوغ حقوقه القومية، الأمر الذي يفسر انتشار «الجهل» بالكرد وبأحوالهم بين الجمهور العربي عامة (باستثناء المتخصصين بطبيعة الحال)، خصوصًا خارج العراق الذي توجد فيه نسبة كبيرة من الأكراد. أما المتخصصون من الباحثين العرب فهم يعرفون الكثير عن الأكراد وحياتهم وأدوارهم السياسية في العصر الحديث بحكم تخصصهم واطلاعهم على مجريات الأحداث. لذا يكون جهد (المعرفة) لتعريف القارئ العربي بالأكراد وبحقائق حياتهم وتاريخهم وثقافتهم جهدًا مهمًا باعتبار الأواصر التاريخية والسكانية والثقافية والدينية التي تربطهم بالعرب وبالحياة السياسية المعاصرة عبر بلداننا في الشرق.

* كردستان: أرض الكرد

الكرد هم شعب عظيم التعداد يقطن ما يسمى ببلاد «كردستان»، أي أرض الكرد، التي يصعب تشخيص حدود دقيقة المعالم لها، بسبب امتداداتها المترامية ووعورة أراضيها (الجبلية في الغالب) ونتيجة اختلاط الكرد بالشعوب المحيطة بهم، بخاصة المسلمة منها. بيد أن الشكل العام لكردستان يمتد من جنوبي روسيا وأرمينيا شمالاً، نحو المحافظات الكردية في العراق جنوبًا؛ بينما تمتد هذه البلاد من شمالي إيران وأذربيجان شرقًا حتى سوريا وسواحل الأناضول غربًا. لذا تكون البقعة التي يقطنها الكرد منذ آلاف السنين كبيرة للغاية، وهي مقسمة بين الدول القائمة اليوم، حيث إن كردستان الكبرى تتجزأ اليوم بين تركيا وإيران والعراق وسواها من الدول التي توجد فيها أقليات كردية صغيرة. ويرد الساسة والمفكرون الكرد هذا التقسيم والتفتيت إلى سياسات الدول الكبرى عبر التاريخ الحديث، ابتداء من نهايات عهود الدولتين الصفوية (إيران) والعثمانية (تركيا)، وانتهاء بالإمبراطوريات الأوروبية التي تقاسمت بقايا هذه الإمبراطوريات الشرقية القديمة. ويذهب هؤلاء إلى أن هذه الإمبراطوريات الأوروبية قد نكثت بوعودها للأكراد بتأسيس وطن قومي لهم من أجل مصالحها الذاتية، بينما خذلت الدول نفسها «الإمارات» الكردية الفتية التي تكونت في بقاع مختلفة من كردستان الأصل، الواحدة تلو الأخرى، الأمر الذي أدى إلى اضمحلالها ثم اختفائها.

لهذا السبب يشعر الأكراد بالكثير من الخذلان والمرارة حيال الإمبراطوريات الأوروبية التي تركتهم دون كيان قومي خاص بهم بناء على المصالح الإمبراطورية المستقاة من نتائج الحروب الكبرى وتقسيم الغنائم والمصالح. وكانت نتيجة هذا «التشطير» الذي فُرض على الكرد هي أنهم وقعوا ضحية للأنظمة (الديكتاتورية والشمولية في الغالب) التي تتالت على حكم وإدارة الدول التي تضم أجزاءً من الشعب الكردي. وقد نهجت هذه الحكومات، طوال القرن العشرين، سياسات تراوحت بين طمس الهوية ومسخ الثقافة الكردية من ناحية، وبين سياسات التطهير العرقي والإبادة الجماعية من الناحية الثانية. وقد شهدت الحقبة الممتدة ما بين نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن الجاري أنواعًا مختلفة من «فنون» اضطهاد الكرد ومن طرائق سحق ثقافتهم وحرمانهم من التكلم بلغتهم وحتى من تأسيس مدارسهم وجامعاتهم ومؤسساتهم الثقافية. بل إن بعض الحكومات، خلال القرن الماضي، حرمت الأكراد حتى من ارتداء ملابسهم التقليدية، وهي من أجمل الأزياء في الشرق عامة.

ولا يبالغ المرء عندما يدّعي بأن الكرد هم من أكثر الشعوب الشرقية نقاءً، نظرًا لأن غالبيتهم من القبائل الجبلية التي تحيا بعيدة في مناطق وعرة وجبال كأداء يصعب الوصول إليها. وهذا ما يمكن أن يفسر نقاء ولون البشرة الأبيض والشعر الأشقر الذي يميز الغالبية العظمى من الكرد، ذلك أنهم من أنقى الشعوب الآرية في العالم. كما أن هذا يمكن أن يفسر، كذلك، ميلهم القوي إلى المحافظة على تقاليدهم القومية والفولكلورية المتوارثة، زيادة على اعتزازهم بلغتهم وبعاداتهم وطقوسهم وبلباسهم القومي الزاهي الألوان. وبرغم وجود أقليات دينية «مجهرية» من اليهود والنصارى واليزيدية وربما الزرادشتية بينهم، فإن الغالبية الساحقة من الكرد تدين بالإسلام. وقد عُرف الكرد عبر التاريخ بأنهم

شعب شديد التدين وقوي التمسك بعقائد هذا الدين الحنيف وتعاليمه بدرجة ظهور العلماء الأعلام والفقهاء الكبار من بين الأكراد. كما أن هذا ما يمكن أن يلقي الضوء على إسهامات الكرد في الحروب الدينية في صف الإسلام ضد غير المسلمين في عصور الظلام والارتطامات الطائفية. وتظهر لنا شخصية الناصر صلاح الدين الأيوبي، المولود بتكريت، كأنموذج للبطل المسلم الذي حارب الصليبيين وانتصر عليهم في معارك عدة، محررًا أجزاءً مهمة من فلسطين، ناهيك من تأسيسه الدولة الأيوبية بمصر. ويتبلور «التدين» الكردي كذلك في ظهور وانتشار الطرق الصوفية الإسلامية عبر بقاع كردستان، حيث يختلط هول كتل الجبال بعبقرية المتأمل والمجتهد الروحي الكردي، منتجًا هذه المدارس الفقهية والطرائق الصوفية الكردية المعروفة، كالطريقة النقشبندية. لقد كان هول الكتل الصخرية العملاقة وسلام الوديان الخضراء والقرى الجميلة والكهوف النائية المنقطعة وراء انتشاء ظاهرة «الناسك» التأملي عبر تاريخ كردستان، قبل مجيء الإسلام وبعده. لذا كان الاستقبال الكردي للإسلام استقبالاً متناهي القوة، لأنه وجد في هذا الدين تناغمًا عظيمًا مع التصاق الإنسان الكردي بالطبيعة الجبارة التي يحيا في دواخلها. ومع وجود الطوائف الإسلامية الرئيسة بين فئات الكرد (السنة والشيعة وسواهم)، إلاّ أن هناك من الأقليات الدينية الأخرى ما تستحق الملاحظة، كاليزيديين الذين يشكلون أقلية دينية من بقايا الأديان الثنوية القديمة. أما اليهود فهم موجودون في كردستان، يمارسون التجارة والحرف المدينية، حتى وقت متأخر. وقد حاولت إسرائيل استقدامهم إليها عبر السنوات الأخيرة بعد ضعف الحكومة المركزية ببغداد، حيث سميت العملية من قبل بعض الصحفيين بـ«فلاشا كردستان».

ولأن الكرد من الأقوام الآرية، فإن لغتهم تتصل بشجرة اللغات «الهندو أوربية»، وليس بشجرة اللغات السامية التي تنتمي إليها لغتنا العربية. بيد أن قوة الإسلام وعالميته، زيادة على مجاورة الشعب الكردي القديمة للعرب ولغيرهم من الأقوام المسلمة، جعلتا من عملية التلاقح والاستعارة بين اللغتين، الكردية والعربية، عملية جارية منذ بداية الفتوحات الإسلامية حتى اليوم، أسوة بتأثيرات العربية على لغات الأقوام التي احتضنت الإسلام، كالفرس والترك والهنود. ولكن برغم محافظة اللغة الكردية على بنيتها وتركيباتها الآرية الأساس، يجد المستمع أو القارئ أن هناك أعدادًا كبيرة من الألفاظ العربية كانت قد استعيرت ودخلت اللغة الكردية بحسب طبيعة الحياة الروحية نظرًا لحيوية اللغة الكردية المؤثرة والمتأثرة باللغات والثقافات المحيطة بها. ولكن تبقى اللغة الكردية أكثر قرابة إلى اللغة الفارسية وإلى السنسكريتية منها إلى اللغة العربية، بسبب انتمائها إلى «عائلة» اللغات الآرية. وبرغم هذا، يستعمل الكرد الحروف العربية للكتابة، مع إضافة علامات وإشارات مستحدثة صغيرة تُكتب للتمييز بين طرائق إخراج بعض الأصوات وتلفظ الحروف غير الموجودة في العربية. لقد حاول بعض الكرد أن يستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية (كما فعل الترك في عهد كمال أتاتورك)، ربما بدوافع محاكاة الغرب على خطى الأتراك، بيد أن هذه المحاولات لم تلقَ النجاح الكافي لانتشارها ولقبولها، خصوصًا أن عيون الكتب والتراث الكردي مسجل بالأحرف العربية منذ مئات السنين. لذا تكون هذه المحاولات أشبه بدق إسفين بين الأجيال الكردية الناشئة وبين تراثها الثقافي القديم المسجل بالأحرف العربية. وإذا كان هذا هو حال الحرف المكتوب والنص المطبوع، فإن اللغة الكردية لا تختلف عن سواها من اللغات العالمية الحية في أن لها لهجات متنوعة ومختلفة. بيد أن هذه اللهجات لا يختلف بعضها عن بعض بشكل كبير يمنع الاتصال والتفاهم بين الكرد أينما وجدوا، لأنها أشبه ما تكون باختلاف اللهجات العربية، بين السعودية ومصر، أو بين سوريا والعراق.

ويذهب بعض فقهاء اللغة الكرد إلى استمكان لهجتين رئيستين في لغتهم، وهما: لهجة الشمال، بمعنى لهجة الكرد في تركيا صعودًا إلى الشمال، ولهجة الجنوب، بمعنى اللهجة المتداولة في المحافظات الكردية في العراق، خصوصًا في منطقة أربيل. وتعد اللهجة الثانية أكثر «رسمية» وأكثر شيوعًا في الثقافة بسبب كونها معتمدة في كتابات النصوص الأدبية والإعلامية والسياسية الحديثة والقديمة.

ولكي يعرف المرء شيئًا عن طبيعة الشخصية الكردية، فإن عليه أن يلاحظ بيئتها. إن أية نظرة على خريطة الإقليم الكردي لن تخفق في الكشف عن أن معظم بلاد كردستان تتكون من مناطق جبلية وعرة، تتخللها سهول ووديان جميلة غنّاء، إضافة إلى قلة أو غياب وجود منافذ على البحار والمحيطات باتجاه العالم الخارجي. لذا يمكن تقسيم الشعب الكردي إلى حضر وسكان جبال. يسكن الحضر في المدن والقرى الكردية المجاورة لمصادر المياه، كالأنهار والعيون والينابيع، زيادة على اعتمادهم على الحِرف والتجارة والأعمال الحضرية الأخرى المعتمدة على ما يأتي هذه المدن والقرى من منتجات الأودية والسهول الزراعية والغابات الجبلية المحيطة بأغلب المراكز الحضرية. أما الغابات، فإنها تقدم منتجات تعتمد على أنشطة الإنسان الكردي، جامعًا للغلة وصيادًا، وليس منتجًا لها كما هي عليه حال الفلاح الكردي الذي يزرع الغلال والأشجار في الأودية والسهول الضيقة لتسويقها إلى المدن. ومن منتجات الغابات الطبيعية في كردستان أنواع الثمار الطبيعية، كالمكسرات (الجوز واللوز والفستق وسواها)، زيادة على ما تحفل به الطبيعة من أنواع الحيوانات والطيور لهذه البلاد الجميلة. إن الحياة البرية في كردستان غنية جدًا بأنواع الطيور والوحوش بسبب بعدها عن ملوثات العصر الحديث ونتيجة وعورة جبالها. كما توجد في هذه الجبال أنواع من الحيوانات النادرة والمفترسة كالدببة والثعابين وأنواع القطط الوحشية الكبيرة، إضافة إلى ما يقال من وجود نمور وأسود آسيوية لم تزل مختبئة في الجبال التي لا يصلها الإنسان. وقد انعكس بكر الطبيعة على الإنسان الكردي، خصوصًا خارج المراكز الحضرية الكبرى كالسليمانية وأربيل ودهوك وسواها. إن الإنسان الكردي متآصر بعلاقة حميمة مع الطبيعة: فهو يأكل من نتاجها النقي، وهو يتناغم معها في ملبسه وفي صلابة جسده وشجاعته المعهودة. إنه من أقوى متسلقي الجبال في العالم، كما أنه من أشد المقاتلين وأصحاب أخلاق الفروسية الرفيعة التي لم تؤثر عليها المكنة والتكنولوجيا.

ويتجسد التوافق بين الطبيعة الغنّاء والإنسان الكردي في أجمل أشكاله بالمرأة الكردية. وهي امرأة محافظة جدًا ووفية

لعائلتها ولأطفالها أيما وفاء. أما لباسها فهو غالبًا ما يكون من الأثواب العريضة الفضفاضة وبالألوان الزاهية واللامعة المثيرة للانتباه، إضافة إلى أنها غالبًا ما تضع غطاء للرأس أشبه ما يكون بشكل العمامة، ولكنه مزوق بالخيوط المذهبة وبالألوان المختلفة، زيادة على الفصوص وقطع المعادن الغالية الثمن. وهي، عندما تكون من عائلة غنية، فإنها تبالغ في لبس الحُلي الذهبية والفضية والمطرزة بالأحجار الكريمة. وبسبب تقاليدها القومية والدينية العميقة، تبدو المرأة الكردية شديدة العناية بنظافتها وبنظافة أبنائها وبيتها، بينما يمتاز مطبخها بالأكلات والصحون المتنوعة، إضافة إلى ابتكارها أنواعًا من فنون وأساليب حفظ الأغذية التي تزخر بها بلادها في مواسم معينة. ويكون الحفظ على أشعة وحرارة الشمس أحيانًا، بينما يكون هذا الحفظ تحت أكوام الثلج والجليد السميك الذي يغطي الأرض في أحيان أخرى، بحسب الموقع الجغرافي ودرجات الحرارة وتقلب المواسم. أما لباس الرجل الكردي التقليدي، فيتكون من سترة سميكة وقصيرة (جاكيت) مع سروال عريض مستدق النهاية. وتُلف قطعة قماش طويلة وملونة على الجذع في منطقة التقاء السروال بالسترة بديلاً من الحزام الجلدي. ويرتدي الرجل الكردي في المناطق الصخرية نوعًا من الأحذية البيضاء المحوكة يدوياً، وهي قوية ومناسبة لمقاومة الصخور وتسلق المرتفعات والحافات القاسية. ويضع الرجل على رأسه عمامة سميكة لحمايته من البرد القارس والحر الشديد خصوصًا في المناطق المتقلبة الطقس. ويبدو أن أفضل مناسبة للاستمتاع بجمال الكرد وبروعة تآزرهم الاجتماعي تتمثل في مناسباتهم القومية والدينية كأعياد نوروز والأعياد الدينية الإسلامية، ناهيك من مناسبات الأفراح، كالزواج والختان وسواهما. في مثل هذه الاحتفالات، يلتقي أبناء العشيرة أو القرية ليغنوا ويرقصوا «الدبكة الكردية»، بينما يتخلل هذا الغناء والرقص نوع خاص من الموسيقا الكردية القديمة والبسيطة، ولكن الرائعة. والكرد كرماء في طبيعتهم، لذا لن يجد الزائر الغريب بينهم أي إحساس بالغربة أو الاغتراب، ذلك أنهم يحيطونه بالاحترام والتقدير وسعة الصدر والسخاء.

أما أبناء المدن، وبحكم اتصالاتهم التجارية والاجتماعية والسياسية بالأقوام المجاورة كالعرب، فقد تمكنوا من البروز في مختلف هذه الحقول، ليس بداخل المجتمع الكردي فحسب، بل كذلك بدواخل المجتمعات المجاورة المتآخية كالعرب. ويقدم لنا تاريخ الثقافة، وليس تاريخ البلاط والسياسة، منائر عالية من المفكرين والفقهاء والفلاسفة والأدباء الكرد الذين أبدعوا بلغات هذه الأقوام. وتزخر الثقافة العربية في العراق وفي سواه بأسماء رجال فكر كرد بارزين، ومنهم الشعراء كـالراحل «بلند الحيدري». ويذهب بعض المتابعين إلى أن نزار قباني إنما ينتمي إلى أسرة كردية الأصل. وإضافة إلى هذا، برز من الكرد رجال دين ورجال دولة، زيادة على رجال القلم والسيف.

* الكـرد العراقيـون:

لقد أدى كرد العراق أدوارًا طيبة وأساسية في بناء الدولة العراقية الحديثة وفي تشكيل مجتمعها المتماسك، حيث كان للتصاهر والاختلاط أثر إيجابي في تشكيل المجتمع العراقي المتنوع الذي جعل من وجود الكرد فيه مجتمعًا مختلفًا عما يجاوره من مجتمعات الدول العربية وغير العربية. وقد أدت شخصيات كردية عظيمة أدوارًا رائدة في بناء صرح الثقافة العراقية، بل العربية والإسلامية في الماضي وفي الحاضر. ولم نزل نقف أمام مثل هذه الشواخص بكل احترام وتفاخر واعتزاز. ونتيجة هذا النوع من التلاقح الثقافي والسكاني ظهرت، لأول مرة في التاريخ الشرقي، فئة من الكرد الذين أطلق عليهم البعض اسم «المستعربين» وهم هؤلاء الذين شكلوا جزءًا رئيسًا من سكان المدن العراقية الكبرى كبغداد والموصل. وكان هؤلاء كردًا أساسًا ولكنهم أنصاف عرب بقدر تعلق الأمر بثقافتهم وإسهاماتهم الفكرية والعملية المحترمة، فبرز منهم أساطين من كبار الساسة والأطباء والأساتذة والمحامين والتجار، مشكلين جزءًا رئيسًا مما يمكن أن نطلق عليه اليوم بـ«النخبة السراتية» العراقية.

وعلى الصعيد السياسي بالتحديد، يمكن للمرء أن يلاحظ هذا الاختلاط والتداخل الاجتماعي الصحي الذي أضفى عليه الكرد صفته الرائعة والجميلة المتفردة. لقد عمل الكرد بكل نشاط وذكاء بداخل الحركات السياسية الوطنية والديمقراطية حتى صارت بعض أسمائهم جزءًا لا يتجزأ من تاريخ الحركة الوطنية في العراق. كما كان لبعض الكرد (في أحيان عدة) «حصة الأسد» في تشكيل وإدارة الحكومات العراقية الناشئة منذ بدايات القرن الزائل، فكان منهم رؤساء الوزارات والوزراء والمحافظون وكبار الضباط. بل ويقال إن أقوى شخصية في تاريخ النظام الملكي في العراق طوال أربعين عاماً، نوري باشا السعيد، إنما هو من أصول كردية. كما كان أقوى وزير داخلية حقبة ذاك رجلاً كرديًا وطنيًا لم يزل يُذكر من قبل العراقيين لشجاعته وحبه لوطنه، سعيد قزاز. حتى مؤسس الجمهورية العراقية، الزعيم عبد الكريم قاسم، كان نصف كردي، لأن والدته تنتمي عرقيًا إلى هذه القومية الطيبة. ومن الظواهر اللافتة للنظر أن يبرز ساسة كرد في الحركات القومية العربية التي تطالب بالوحدة العربية وبالاندماج الوطني بين القوميتين الرئيستين في العراق. ومن هؤلاء رجال تسنموا مراكز قيادية في الحكومات العراقية المتعاقبة، من أمثال علي صالح السعدي، وطه الجزراوي وطه محيي الدين معروف، الرجل الثاني والثالث بعد الرئيس السابق، وهم كرد كذلك. زعيم الحزب الشيوعي العراقي السابق، عزيز محمد، كان كرديًا، كما كانت عليه الحال مع أعداد كبيرة من القيادات السياسية، في النظام وفي المعارضة، ناهيك من أن الجيش العراقي كان يزخر بعدد من أشجع وأبرز ضباطه من الأكراد، والقائمة تطول.

إن الفسيفساء العراقي الذي يضفي عليه الأكراد لونه ومزاجه المتفرد لا يمكن أن يُفهم أو يُدرك بدقة بدون فهم الكرد ودورهم المهم في تشكيل العراق الحديث. ويبدو أن وجود قوميتين رئيستين في العراق (العرب والكرد) يمكن أن يُشكل سلاحاً ذا حدين: فمن ناحية أولى، يؤول هذا التنوع العرقي واللغوي إلى التنافس وإلى التفاعل اللذين يمثلان الشروط المسبقة للتقدم والابتكار والإبداع. ومن ناحية ثانية، يكون هذا التنوع مصدرًا للمشاكل والفوضى عندما يحاول جزء من قومية معينة مصادرة حقوق وتطلعات القومية الأخرى، كما حدث في تاريخ العراق الحديث. ولا يبالغ المرء إذا ما ذهب

إلى أن هذه الثنائية الإثنية يمكن أن تُحال إلى عنصر تآصر وتجاذب، بدلاً من أن يساء استخدامها بوصفها عنصرًا للتنافر والتناقض.

العادات والتقاليد

الأكراد.. ألف ثورة وألف حسرة

الأكراد هم أيتام العالم بامتياز، فعمر مظلمتهم يزيد على القرن: وزعت أراضيهم بين 5 دول، وتفرقت قبائلهم، وتم التلاعب بآمالهم وتطلعاتهم من الجميع حتى أصبحوا مثالاً للضحية الذي يصادر حقه، ويظلم جهارًا نهارًا لا يفوقهم في ذلك سوى الفلسطينيين، واستقر ذلك في الوعي الشعبي وتداولته الألسن، حتى إنك تجد في اللغة الدارجة المصرية ما يؤكد هذا الوعي الشعبي فيقال «فلان استكردني» أي ظلمني وهضم حقي وحط من شأني، و«فلان صهين صهين» أي تخابث وتجاهل الحق.

جوهر المشكلة الكردية، هو الأداء السياسي للأكراد أنفسهم، فكل ثورة قام بها الأكراد أعقبتها حسرة حتى سميت بلادهم في العصر الحديث «ببلاد الألف ثورة والألف حسرة»، والسبب الرئيس في ذلك أن حليفهم في تلك الثورات كان يستخدمهم أكثر مما يساعدهم، ابتداء من الروس في القرن التاسع عشر الذين وجدوا في الأكراد مدخلاً مناسبًا لإضعاف غريمهم اللدود «الدولة العثمانية»، وانتهاء بالأمريكيين في القرن الحادي والعشرين الذين وجدوا فيهم قطارًا للزحف على بغداد، مرورًا بإسرائيل التي دعمت ثورة الملا مصطفى البرزاني في كردستان العراق. كان زعماء الأكراد دومًا ينظرون إلى أهدافهم دون أهداف من يستخدمهم أو يساعدهم، الملا البرزاني عندما عاتبه الفلسطينيون على علاقته مع إسرائيل أجابهم بقوله: «أنا مثل الشحاذ الأعمى الواقف على باب الجامع الكبير في مدينة السليمانية، والعاجز عن رؤية من يضع في يده الممدودة قطعة نقدية».

الكيان الكردي...كيف يمكن تحديد «الإطار»؟

د. عبدالكريم بكار

تقدم المسألة الكردية مثالاً نموذجيًا للعقابيل والمشكلات والمآسي التي تترتب على تفكك إمبراطورية من الإمبراطوريات، وقد كانت كردستان إحدى الولايات الخاضعة للدولة العثمانية. وكان حظ الأكراد في إدارة أنفسهم والسيطرة على مواردهم لا يختلف عن حظ أهل أي ولاية من ولايات تلك الدولة. وإذا شعروا بممارسة شيء من الحيف أو القهر السلطوي فإن ذلك أيضًا ربما لا يختلف كثيرًا عما يشعر به أهل الولايات الإسلامية الأخرى. ومن هنا فلم يكن هناك شيء اسمه القضية الكردية. وكانت كل مشكلات الأكراد عبارة عن جزء من التركة الكبرى لرجل مريض ستوزع تركته وأملاكه وفق مآرب الغرب ورؤاه السياسية والاستراتيجية. في اتفاقية (سايكس بيكو) حدث للأكراد ما لم يحدث لغيرهم، فتم توزيع ولاية (كردستان) والتي تبلغ مساحتها حوالي (نصف مليون كم مربع) على خمس دول هي: إيران، والعراق، وتركيا وسوريا وجنوب روسيا. والآن وبعد تفكك (الاتحاد السوفييتي) صار جزء من الأكراد في أذربيجان وجزء منهم في أرمينيا أي صاروا موزعين على ست دول! وهذا في حد ذاته ومهما كانت معاملة الحكومات لهم يشكل صدمة كبرى، حيث يعاني نحو أربعين مليون كردي ـ الشعور بالتمزق والتبعية والعجز عن السيطرة على أراضيهم التي استوطنوها منذ آلاف السنين، والعجز عن الاستفادة على نحو عادل من مواردهم الكبيرة والمتمثلة في المياه العذبة والنفط.

وأود هنا أن أعرض لبعض المفاهيم الجوهرية المتعلقة بالمسألة الكردية في النقاط الثلاث الآتية:

* كان العثمانيون على الرغم من كل ما لديهم من أشكال الخطأ والقصور يقدمون صيغة في الحكم والإدارة تتلاءم مع التنوع الكبير لثقافات الشعوب التي كانوا يحكمونها. وتلك الصيغة تقوم في المجمل وفي معظم المراحل على تقديم إطار يتسع لكل الهويات الفرعية التي كانت تحملها الشعوب المنضوية تحت لوائهم؛ وذلك من خلال ابتعاد ذلك الإطار مسافات معينة عن كل لون وطني أو إقليمي من ألوان الخصوصيات الثقافية والعرقية واللغوية لتلك الشعوب، فالسياسات العامة للدولة ـ الإمبراطورية لم تكن تتطابق مع متطلبات أي قومية أو أي عرق مما كان منضويًا تحت هيمنتها. وقد كان الإسلام بعقيدته وأحكامه وأدبياته هو المرجعية المعلنة ـ على الأقل ـ للدولة. كما كان المصدر الذي تستمد منه شرعيتها، وتعتمد عليه في الحصول على درجة من القبول الشعبي لها. وهذه في الحقيقة نقطة مهمة للغاية؛ لأن الثقافات الوطنية في كل أصقاع العالم الإسلامي كانت منذ أمد بعيد قد أفرغت كل طاقاتها وقدراتها على الحث والكف في الثقافة الإسلامية. كما فقدت الكثير من جاذبيتها لصالحها. ولهذا فإن حكم الناس في إطار التعاليم الإسلامية يظل يكتسب القبول والتأييد من قبل السواد الأعظم من المسلمين. أضف إلى هذا أن الإسلام بما هو منطلق للحكم العثماني ومرجع له قد قدّم قاعدة للمشاعر والآمال والأهداف المشتركة لكل المؤمنين به مهما كانت لغاتهم وأعراقهم. وهذه القاعدة تتمثل في (الأخوة في العقيدة) على نحو يتجاوز أخوة الدم ورابطة الانتماء القبلي والوطني. إن كل مسلم هو مشروع أخوّة قائم، وبالتالي فإن عليه أن يسعى إلى بناء معنى الأخوة الإسلامية بما هي مصدر للتعاون والتضامن والعطاء والتجاوز للأنانية الفردية. وهذه الأخوة كثيرًا ما كانت تساعد على تحمل أعباء السياسات الغاشمة، وتخفف من التوترات التي كانت تنشأ عن احتكاك الأعراف والثقافات المتباينة. وهذا كله ساعد على عدم تشكيل الأكراد مركزًا لإزعاج الدولة

العثمانية على ما عرف عنهم من فروسية وبأس وقوة شكيمة.
* نحن نعرف الكثير عن الأسباب ـ وأحيانًا كل الأسباب ـ التي تؤدي إلى تفكك إمبراطورية من الإمبراطوريات، لكن الشيء الذي لا نعرفه هو كيفية تضميد الجراح التي تنشأ عن ذلك التفكك، وكيفية العثور على صيغة جديدة للدول التي فقدت الإطار الجامع الذي كانت تتفاعل داخله. قد انهارت الدولة العثمانية، ولم يكن ذلك الانهيار بسبب الضغوط الاستعمارية من الخارج أو الأخطاء الفادحة التي ارتكبت في الداخل فحسب، وإنما كان هناك شيء جديد بالغ الأهمية في هذه القضية، وهو بروز رباط سياسي جديد ذو جاذبية شديدة، وهذا الرباط وإن كان لا يساعد على بناء إمبراطوريات جديدة أو ترميم إمبراطوريات قائمة، لكنه يُشعر الأفراد بأنه يقدم لهم فرصًا واسعة للمشاركة السياسية، وفرصًا للتخطيط للمستقبل العام لبلادهم على نحو لا يقدمه النموذج التركي المستند إلى آليات تقليدية في الإدارة والعلاقة بالمواطنين. هذا الرباط أو النموذج الجديد يتجسد في (دولة المواطنة). إنه في الوقت الذي بدأ فيه الحكم العثماني ـ وكل أشكال الحكم التقليدية التي كانت سائدة آنذاك ـ يظهر وكأنه فقد صلاحيته، وصار عاجزًا عن تحقيق التقدم العمراني والازدهار الاقتصادي ومواجهة التحديات الحضارية الجديدة، وفوق ذلك العجز عن إنتاج روح الأخوة الضرورية للتضامن بين الشعوب المكوّنة للدولة ـ الإمبراطورية، أقول في ذلك الوقت أخذ نموذج (دولة المواطنة) يؤسس له أرضية ثابتة في العالم الغربي، فبعد مخاض طويل في أوروبا وصراع مرير ومستمر مع سلطة الكنيسة جاءت (دولة المواطنة) لتعيد تأسيس العلاقة بين الشعوب والحكومة على قواعد ومفاهيم جديدة. في دولة المواطنة تتشكل العلاقة بين المواطن والدولة على أساس البرنامج السياسي الذي يقدمه الحزب الحاكم وفي إطار الإنجازات العملية والأهداف المشتركة. في دولة المواطنة ليس هناك أي معنى ذي قيمة ـ حسب المعلن ـ لأخوة العقيدة أو وحدة الملة، وليس هناك اهتمام بانخراط المواطنين في مبادئ ومثل واحدة، كما هو الشأن في التربية الاجتماعية والسياسية في الإسلام. وإنما ينصرف الاهتمام كله إلى توليد درجة عالية من الولاء للقانون ولدولته، بالإضافة إلى تأسيس معنى الحرية على أوسع نطاق بوصفها أصل المواطنة، وتأكيد معنى الأخوة الجديدة والتي تقوم على الاشتراك في الحقوق والواجبات الواحدة والموحدة بقطع النظر عن الانتماء العقدي أو العرقي أو اللغوي... في دولة المواطنة ـ على مستوى التنظير على الأقل ـ لا يخضع الفرد ولا الطائفة ولا المجموعة لقوانين ثابتة وأبدية تحدد موقفه الاجتماعي أو السياسي، وإنما يتم إبداع مبدأ المواطنة ومتطلباتها من خلال كل شخص في الدولة دون استثناء أو وصاية من أحد داخل الإطار الاجتماعي.
تداول السلطة وحق كل مواطن في تجاوز التراتبية الاجتماعية التي حتمتها ظروف النشأة ـ من الأمور الأساسية والمهمة في دولة المواطنة. ومن ثم فإن كل الأفراد والأعراق والشعوب التي كانت تشعر بشيء من هضم حقوقها أو وجود حقائق من أي نوع تحول دون تسنمها قمة الهرم ـ سارعت إلى العمل على الالتحاق بركب هذه الدولة بوصفها النموذج الذي سيحقق كل الأحلام ويحل كل المشكلات. وبقطع النظر عن جدية كل هذا ومصداقيته فإن الذي يطلع على كتابات كثير من المسلمين وغيرهم في القرن العشرين يدرك بسرعة تشوق الناس إلى الظفر بالنموذج الجديد؛ ولا يستطيع الأكراد أن يشكلوا استثناء من هذا التيار الجارف.
* يمكن القول إن (الهوية) هي مجموع الصفات التي تميز أمة أو شعبًا أو حزبًا أو فردًا عن غيره. ويقدم الإسلام لأتباعه هوية عامة واسعة، تميز أتباعه عن غيرهم، وتعرفهم على ذواتهم في حالة استحضار خصائص أبناء الديانات الأخرى.
وداخل الهوية الإسلامية هناك طيف من الهويات التي تأسست على أساس الإقليم، أو القبيلة أو اللغة أو المهنة. وينتهي بنا الأمر إلى أن يكون لكل واحد منا هويته الخاصة التي يتميز بها عن أقرب الناس إليه. الهوية أشبه شيء بالصحة، لا نشعر بها إلا إذا أصبحت مهددة. أما في الأحوال العادية فإننا لا نعيرها أي اهتمام. ولا ريب أن للأكراد هويتهم الخاصة داخل إطار الهوية الإسلامية العامة، وتلك الهوية تستمد من عبقرية المكان الذي يعيش فيه الناس.
والآن وبعد كل هذه المقدمات الطويلة يمكننا أن نفهم جوهر المشكلة الكردية على نحو أعمق.
بانفراط عقد الدولة العثمانية، وبالتغيير الجذري الذي طرأ على موقف الحكومة هناك من الارتباط بالإسلام ـ تهدّم الإطار للدولة التقليدية التي كانت تحكم باسم الإسلام وباسم الهوية العامة للأمة الإسلامية، وتم تقسيم كردستان بين الدول التي أشرنا إليها. ومن الواضح أنه ليس هناك دولة واحدة من الدول التي وزّع الأكراد عليها وألحقوا بها عاملتهم على أساس الهوية الإسلامية الجامعة، فيشعروا أنهم إخوة لأبناء تلك الدولة في العقيدة والدين. ومن الواضح كذلك أن تلك الدول الخمس أو الست لم يتمكن أيّ منها من تشييد (دولة المواطنة) فيشعر كل من ينضوون تحت لوائها أنهم سواسية في الفرص والحقوق والواجبات والمهمات. إن الذي حدث فعلاً هو قيام دول على أساس قومي محض، أي إن المظلة الثقافية والقانونية التي كان الجميع يؤون إليها تقلصت لتظلل بعض السكان، وليجد آخرون وعلى رأسهم الأكراد أنفسهم في العراء مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة. هذه الوضعية كافية بمفردها لجعل الأكراد يبحثون عن شيء يجدون من خلاله أنفسهم، ويتخذون منه منطلقًا لاسترداد حقوقهم. وكان ذلك الشيء بالطبع هو الهوية الفرعية والتي كانت عبر حكم العثمانيين المديد شيئًا شبه منسي بسبب توفير الهوية الأوسع والأشمل وهي الإسلام. ولاشك أن عماد الهوية الكردية هو اللغة والتاريخ الوطني المحلي بما يشتمل عليه من بطولات وإنجازات، بالإضافة إلى العادات والتقاليد والرمزيات المحلية. ودخل الأكراد في صراعات دامية مع كل أو معظم الحكومات التي تبسط سيطرتها عليهم وعلى بلادهم. وكان الحس القومي لتلك الحكومات طاغيًا إلى درجة تجاهل الخصوصية الثقافية للأكراد على نحو سافر وفظ. إن التنوع الثقافي لدى كل الأمم والدول هو دائمًا سلاح ذو حدين، فإذا أدير على نحو جيد وبرفق وشفافية فإنه

يصبح مصدرًا للثراء والتلاقح والازدهار. أما إذا تم تجاهله، أو عومل بقسوة وعنف فإنه يصبح ذريعة ومنفذًا لتدخل أجنبي. إن ما لا يستطيع غلاة القوميين فهمه هو أنه حين ينتشر الظلم، وحين تستخدم القوة الغاشمة في سياسة الناس، فإن المظلومين يجدون دائمًا المسوغات لاستباحة كل المحرمات؛ حيث لا مقدّس مع الظلم. من السهل والمألوف أن تصل تلك الاستباحة إلى القتل والاغتيال والتدمير والخيانة العظمى. وهذا ما جرى بالنسبة إلى الأكراد. ولا يستطيع أعظم القضاة أن يفصل في هذه القضية، وأن يحدد الجاني الأكبر أو يحدد البادئ بالجناية، حيث تختلط الأوراق، وتندرس المعالم. وهكذا فقد اتهم الأكراد في العديد من المرات بأنهم جعلوا أنفسهم عونًا للأجنبي ضد حكوماتهم. وبناء على ذلك فقد قامت تلك الحكومات أو معظمها بتهجير كثير من الأكراد من أماكنهم وإسكان بعض مواطنيها من غير الأكراد في ديارهم. وارتكبت بعض الحكومات مجازر وحشية ضدهم، وحُرموا من استخدام لغتهم، وعوملوا على أنهم جماعات غير موثوقة. ووصل الاضطهاد بالنسبة إليهم إلى حد عدم إجازة ذكر اسمهم، كما حدث في تركيا حيث كانوا يطلقون عليهم اسم (أتراك الجبل) يمكن بعد هذا أن نقول: إن من غير الممكن للأكراد اليوم أن يستعيدوا وحدة كردستان وإنشاء دولة كردية تحكمها؛ لأن كل الدول النافذة والدول ذات العلاقة بالمسألة الكردية مجمعة على أنه لا يصح لحقائق التاريخ أن تغير حقائق الجغرافيا. ومن الحكمة للمرء ألا يضيع الممكن في طلب المستحيل. والحكم الذاتي الذي يطالب به الأكراد لا يشكل حلاً استراتيجيًا وناجعًا، وفي ضوء هذا فإني أظن أن الحل الأمثل بالنسبة إليهم يتمثل في العمل مع باقي إخوانهم المسلمين في أوطانهم على إيجاد إطار سياسي يستوحي الإسلام بوصفه مصدر العقيدة والنظام الرمزي للأكراد والفرس والعرب، والعمل على استعادة معنى الأخوة الإسلامية الجامعة، بالإضافة إلى ترسيخ معاني العدل والشورى والنزاهة والاستقامة الإدارية.. وإذا استطاع الأكراد التفكير على هذا المستوى فإنهم يتحولون من شعب مضطهد ومستضعف إلى شعب رائد يقدم الأمل ويرسم ملامح المستقبل والنموذج الأمثل لمئات المسلمين في العالم. وإذا كان هذا الخيار بعيدًا أو مرفوضًا، فالخيار الأخير هو صيغة من الحكم تقوم على أساس المواطنة، كما هو الشأن في أوروبا وأمريكا ودول عديدة أخرى؛ حيث يتم إلى حد بعيد تحييد الاعتبارات الإثنية في معظم الشؤون العامة. وأظن أن على الأكراد حتى يصلوا إلى حل أو نصف حل لقضيتهم أن يتحلوا بالكثير من الصبر، وأن يقوموا بالكثير من العمل. ويظل العمل السلمي الجاد والدؤوب أقصر الطرق إلى المراد وأكثرها أمنًا وأمانًا.

أضواء على الشخصية الكردية
د. عمر ياسين الجباري

ومعناها (القناع) أو (الوجه المستعار) الذي يضعه الممثل على وجهه personaالشخصية مشتقة من الكلمة اللاتينية للتنكر، واللفظة شائعة الاستعمال يشترك فيها عامة الناس رجالاً أو نساء، يعود استخدامها إلى زمن الإغريق، حينما كان الممثل الإغريقي يضع القناع على وجهه. وقد شاع عند الرومان استخدام مفهوم الشخصية، وكانت تعني الشخص (الممثل) كما يظهر بالنسبة للآخرين، وليس كما هو عليه في الحقيقة، باعتبار أن الممثل يؤثر في عقلية المشاهدين خلال الدور الذي يقوم به. ويذكر أن المصريين (حتى بداية الأربعينيات) كانوا يطلقون على الممثل لفظ (المشخصاتي)، واللفظة في اللغة العربية مشتقة من «شخص»، وهي ذات دلالات هامة في أمهات المعاجم العربية:
* ففي حالة الاسم: «الشخص» هو الإنسان كله حين تراه من بعيد.
* وفي حالة الفعل:(شَخصَ الإنسان) إذا ذهب من بلد الى آخر، كذلك يقال: «الشخص النجم» إذا برز وأصبح مرئيًا مشاهدًا.
* وكاسم فاعل: «شخص شاخص» إذا ارتفع وعلا وأصبح ظاهرًا، «شاخص البصر» إذا ارتفع بصره عاليًا، «شاخص العينين» إذا فتح عينيه فلا يطرف، و«صوت شاخص» إذا كان عاليًا جهوريًا لايقدرُ على خفضه.
* وكصفة «الشخيص» الإنسان الجسيم مع بهائه وروعته، وكذلك الإنسان السيد.
إذًا هناك عدة معان ترتبط بكلمة الشخصية من الناحية اللغوية أو التفسيرية، فهي الصفة والخلق وحقيقة الإنسان، ووجوده متميزًا عن الأشياء الأخرى. وبناء على اشتقاقها نستطيع أن نستنتج أن الشخصية مصطلح يشمل المحصلة النهائية لسلوكيات الإنسان الظاهرة والباطنة، في أبعادها الوراثية والبيئية.
الشخصية الكردية ودول الجوار
منذ ما يزيد على 2500 سنة، (أي منذ سقوط دولة ميديا الكردية) تعرضت الشخصية الكردية في هذه المنطقة من العالم التي سميت بـ (كوردستان) إلى تخريب وتدمير من قبل الدول القوية المجاورة لها في المنطقة، وسلكت تلك الدول الطرق كافة من عمليات وأحلاف عسكرية، وحروب نفسية من دعايات وشائعات وغسل دماغ، وخلق صراعات دينية وعرقية وطائفية لتنفيذ مآربها. لذا فالظروف التي مرت بها الشخصية الكردية في كردستان لم تسمح لها بأن تتطور بالصفات والمعاني إلى المستوى المطلوب، لأن الدول الطامعة فيها حاولت (وبصورة مستمرة) صياغة برامج خاصة وخطط لتحطيم أفكارها وقيمها، لذا واجه المجتمع الكردي وتعرض للظلم والمحن والغموض والتجزئة، ومما سهل هذه التجزئة انعدام الكيان الموحد بين الكرد، وسيطرة مجموعة من الأفكار الغريبة والتي لا تتفق مع العادات والتقاليد والقيم والأعراف السائدة بين الكرد، وضعف الإمكانيات العسكرية للمجتمع الكردي مقارنة بما تمتلك دول الجوار من قوة

عسكرية. وعلى سبيل المثال لا الحصر، ما يستخدمه الأعداء وإلى عهد قريب من تعريب وتفريس وتتريك هو خير دليل على ذلك النهج العدواني. ومما أغرى الأعداء والطامعين بتنفيذ مخططاتهم أن أرض الكرد كانت غنية بالمعادن والثروة المائية والحيوانية ومنابع الخير والبركة، ما جعلت بلاد الكرد مجالاً للصدام بين الدول الكبرى. وقد دفع الكرد ضريبة هذا الغنى غالية!!

ويذكر أن القومية الكردية منذ معركة جالديران سنة 1514م إلى الآن كانت موضع أطماع الدولتين المجاورتين الكبيرتين وأعوانهما أكثر من ذي قبل. إذًا وابتداء من هذه المعركة مارست الدول المحيطة بالكرد ضدهم الاضطهاد، والاستبداد، والحروب النفسية، وعدم فسح المجال لها لتبرز على الساحة الدولية أو تحصل على قسطها من التقدم العلمي.

ويعاني الأكراد التجزئة والتفرقة، وضعف الإمكانات العسكرية، مقارنة بالدول المجاورة، والتعايش مع بعض المواثيق والمعاهدات الدولية، والبرامج الخاصة المعادية التي ألزمتهم بها الدول المتحكمة. ناهيك عن النظام الإقطاعي المسيطر على المنطقة الكردية، وعن غنى المنطقة والموقع الاستراتيجي الذي جعلها في صراع مع الدول الكبرى ولم يفسح المجال لها للتقدم والتطور.

إيجابيات الشخصية الكردية

عرفت الشخصية الكردية بالإخلاص والوفاء وحب الوطن والالتزام بالعادات والتقاليد والقيم الإنسانية والاجتماعية، والأخلاق الحميدة كالصدق والشجاعة والذكاء والثقة بالنفس والاعتزاز بها، وكذلك بالبساطة وحب الحرية والجرأة. ولهذا يصف بعض المستشرقين في كتاباتهم وبحوثهم ودراساتهم الأكراد بالشجاعة والتصلب والقوة والخشونة، نتيجة الظروف السياسية التي مرت بهم. ونستطيع أن نقول إن الشخصية الكردية تمتاز بأنها أمينة ذات لغة نظيفة وخلق جيد، ما يعني أن هذه الشخصية لم تضيع معدنها الأصيل. وإلى الآن يسود بين الأكراد بعض القيم العشائرية الأصيلة مثل علاقة القرابة والدم والإيمان ببعض المعتقدات، وتقابلها قلة الإصابة بالأمراض النفسية بين أبنائهم. هذه الخصائص والمميزات جعلت الشخصية الكردية تحتفظ بحيويتها وبقائها صامدة في المنطقة، على مر الأزمان والدهور. يرى بعض الخبراء والدارسين وعلماء الإنثروبولوجيا أن المنطقة الجبلية والمناخ البارد يخلقان شخصيات شجاعة محبة للتحرروالاستقلال، وعكس ذلك فإن المناطق التي ترتفع فيها الحرارة تكون شخصيات كسولة وخاملة. أي أن تنوع التضاريس والمناخ والقوى العاملة لها علاقة قوية بالأفكار التحررية، مما جعلت هذه الشخصية إلى حد بعيد تمتلك البسالة والقدرة القتالية.

إن المجتمع الكردي بطبيعته عانى الاضطهاد والتعب والمشقة والظلم والاستبداد، مما ولد لديه روح التضحية والثورة والانتفاضة وجعل منه شخصية غير راضخة للعبودية، وتحب الشجاعة والحق والاستبسال من أجل نيل حقوقها. كما اشتهرت الشخصية الكردية بالإخلاص للأرض والوطن والأقرباء وأفراد مجتمعها، إضافة إلى أن الخيانة لدى الكرد عمل مشين. واشتهرت المرأة الكردية بالإخلاص والعمل من أجل سمعتها وسمعة زوجها وعائلتها واحترامها للكبير والعطف على الصغير، وإكرام الضيف، ومساعدة الفقير والعاجز والتخفيف عن مصائب الآخرين ومشاركة بني جلدتها في السراء والضراء. وهي محبة لزوجها شريكة له في العمل العائلي. وهي بسيطة تنبذ البذخ في اللبس والتبذير في النفقات.

سلبيات الشخصية الكردية

الظروف التي مرت بها هذه المنطقة، من غبن لحق بها من قبل الطامعين، وحروب نفسية مورست مع أبنائها ومؤامرات حيكت ضدهم، في جميع الجوانب والجبهات لم تسمح للشخصية الكردية بأن تنمو وتنضج وتتطور وتصل إلى حقها المشروع، ولاسيما في الميدان الدولي، مثلما سمحت للشخصيات الأخرى في المنطقة، ومثلما أشعلت من الحروب الداخلية والاقتتال القبلي (مواجهة واقتتال الكردي وأخيه الكردي). هذه الظروف بمجملها وهي سياسة غريبة ودنيئة تنسجم مع شعار «فرق تسد». لذا اشتهر الكردي أحيانًا نتيجة تطبيق هذه السياسة العدائية ضده بالخشونة وروح التمرد على النظام، وبالتصلب وسيادة روح الانتقام، والانفعال وقلة الصبر والتحمل. ومما لاشك فيه أن الصراع والحروب والاقتتال وعدم فسح المجال للآخر وإقصاءه عن إبداء الرأي والتفكير والغبن وعدم إحقاق الحق، تولد روح الانتقام والحقد والعداء لدى الإنسان ، لذا يصف البعض الشخصية الكردية بأنها شخصية ذات طابع عشائري وقبلي في سلوكها وتصرفاتها. أما عن تخلف الكردي عن ركب الحضارة والتقدم العلمي فكان نتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كان يعيشها، حيث لم تسمح له بمواكبة التطور، كما لم تسمح له بزيادة الخبرة في هذه المجالات والتعبير عنها. فالشخصية الكردية من هذا المنطلق شخصية طبيعية وبسيطة وغير مصطنعة وتثق بكل شيء.

ونتيجة الاحتلال والتجزئة وكبت الحريات السياسية والاجتماعية، والتخلف في مجال الإعلام والاجتماعات وحضور المؤتمرات الدولية نجد بين الكرد أحيانًا بعض العادات والتصرفات المدانة والبعيدة عن واقع المجتمع، أو بعض الظواهر الغريبة التي تمنع وتعيق تطور الشخصية الكردية من أخذ علوم العصر وأخذ فرصهم من التقدم في مجالات العلوم والثقافة!! لقد كانت أرض الكرد ومنذ القدم ميدانًا لمعارك اليونان والفرس ومعارك الفتوحات وحروب الدولة العثمانية وبعض معارك الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقد كان توسع الإمبراطوريتين الفارسية والعثمانية في المنطقة على حساب أرض الكرد وثقافتهم وحرياتهم!! إن الدراسات السابقة للشخصية الكردية كان القصد منها معرفة السبل الكفيلة للسيطرة على الكرد وبلادهم، واكتساب الخبرة اللازمة والوسائل الفعالة لتضليل الكردي وتجزئة بلاده

وخلق الصراعات المختلفة التي تولد عنها الاقتتال بين الجماعات وشرائح المجتمع الكردي المختلفة، مما يعطي ذلك طابعًا مخالفًا لواقعه الحقيقي!!

المصـــادر

* الجباري، د.عمر ياسين: دراسة الشخصية الكردية، محاضرة قسم الإعلام، المعهد الفني، أربيل - 2000-2001م.
* الشرقاوي، د. أنور وآخرون: أسس علم النفس العام، مطبعة أطلس، القاهرة -1977م.
* شلتز، دارون: نظريات الشخصية، ترجمة: د. حمد دلي الكربولي ود.عبدالرحمن القيسي، مطبعة جامعة بغداد - 1983م.
* العاني، د. نزار محمد سعيد: أضواء على الشخصية الإنسانية، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد - 1989م.
* عدس، د.عبدالرحمن ود.محيي الدين توق: المدخل إلى علم النفس، ط2 دار جون وايلي وأبنائه (مترجم)، نيويورك - 1986م.
* كمال، د.علي: النفس (انفعالاتها وأمراضها وعلاجها)، دار واسط، بغداد -1983م .

الروح القومية الكردية...ملحمة مم وزين

عبد الرزاق بيمار

(مم وزين) قصة شعرية يطلق عليها بعض الأدباء والباحثين ملحمة مم وزين(1)، كتبها باللغة الكردية في القرن السابع عشر الشاعر أحمد الخاني، وتقع القصة في 2659 بيتًا ثنائي القافية.

ويسمّى هذا الشكل في الآداب الشرقية بالمثنوي، ووزنه العروضي هو:

مفعول مفاعلن فعولن

- - ب / ب - ب - / ب - -

واستعمل هذا الوزن كثيرًا في مثنويات العشق، ومن جملة ذلك منظومة ليلى والمجنون للشاعر النظامي. تتألف القصة من مقدمة أو ما يسمّى بالديباجة، ثم فصول قصة حب تتسم بشاعرية فياضة ومواقف رائعة في التضحية والشهامة تنتهي نهاية مأساوية مؤثرة. أما الديباجة فيبدؤها (خاني) باسم الله والحديث عن جلاله، ويتطرق إلى فلسفة الوجود والصفات الإلهية وقضية التوحيد والخلق والحدث والعدم، ثم يستخلص رأي المتصوفة الكبار ويذكر مصطلحاتهم ويبدو كعارف متصوف يتوق إلى معرفة ذات الباري. ويخصص الجزء الثاني من الديباجة لنعت النبي محمد [ويعدد منزلته في الدنيا وفي الآخرة، ويستهيم بحبه ويرجو في نهاية ابتهالاته شفاعته يوم الآخرة. وفي القسم الثالث يظهر الشاعر شعوره القومي ووطنيته فيصف حال أمته الواقعة بين إمبراطوريتين تمنعان عنها العيش بحرية وسلام.

ولقصة (مم وزين) أساس تاريخي وقعت أحداثها في إمارة (بوتان) بمنطقة حكاري في كردستان (تركيا الحالية)، وقد جرت القصة على ألسن العامة ونظمها شعراء شعبيون في قوالب فولكلورية خالطين الواقع بالخيال والتاريخ بالأسطورة، يتغنى بها مطربون ذوو خبرة في الغناء والرواية جيلاً بعد جيل في المضائف وفي المحلات العامة. والقصة الفولكورية تعرف بـ(مم الآلاني) وقد ذاعت في أرجاء المناطق الكردية، وجذبت إليها أنظار الأدباء المحليين والأجانب، وترجمت إلى لغات عدة واهتم بها مستشرقون، فقد طبعها ونشرها ألبرت سونسين سنة 1887م في بطرسبورغ ونشرها سنة 1890م باللغة الألمانية، ونشرها لي كوك في ألمانيا سنة 1903م، ونشرت في أربع طبعات متتالية من سنة 1897م إلى سنة 1904م باللغة الأرمينية، ونشرها أوسكارمان في كتابه (التحفة المظفرية) سنة 1906م، كما ترجمت إلى اللغات الروسية والفرنسية والرومانية، ولم يتخلف الأدباء العرب عن اتحاف القراء بنبذة من هذه القصة الشعبية، فنذكر في هذا المجال عبدالمسيح وزير (في مجلة الرسالة والرواية - 448 لسنة 1942م - القاهرة) وصاغ الشاعر السوري أحمد سليمان الأحمد ملخصًا للقصة باللغة العربية(2).

ويتحدث عن القصة الشعبية المستشرق (مينورسكي) ويقدم تعريفًا بها حيث يقول: «ولهم أيضًا الملحمة القومية الخاصة بهم (مم وزين) وهي في شعر ونثر مسجوع تغني به في جميع أنحاء كردستان. كان مم وزين محبين، لكن مم لم يكن في مستوى حبيبته من حيث النسب والوضع الاجتماعي. علم أمير بوتان وهو أخ زين بهذا الحب فغضب على مم وسجنه، ولكنه خشية من التمرد الشعبي أطلق سراحه ووافق على زواجها. كان الأمر منتهيًا حيث مات مم في حبه، وعلى أثره ماتت زين أيضًا فدفنوها بجانبه. نبتت ورود كثيرة بين القبرين كرمز لذلك الحب الذي هو أقوى من الموت»(3).

أما الشاعر أحمد الخاني فقد وظف أحداث القصة في منظومة أثيرة بأسلوب أدبي كلاسيكي رفيع مضمنًا إياها ثلاثة محاور فكرية هي:

* التصوف.
* الفلسفة.
* الوطنية.

وجعل منها نموذجًا مشرقًا للأدب الكردي في القرن السابع عشر جذبت أنظار أبناء الشعب، ونظروا إليها كوثيقة قومية لداعية من دعاة الحرية. واهتم بها المستشرقون وسرعان ما تلقفتها أيديهم بالبحث والترجمة والتلخيص وأشادوا بها. ومنهم: جابا ـ لرخ ـ أوربيللي ـ نيكتين ـ ليسكو ـ رودينكو..(4). ويصف علي سيدو الكوراني من الأردن القصة بقوله: «أحمد خاني هو العلامة الشاعر العاشق المغلق من عشيرة خانيان وصاحب (مم وزين) الشهير وهو شعر قصصي لا مثيل له في بابه إلاّ إلياذة هوميروس»(5).

ويقول باسيل نيكتين في كتابه (الكرد) الصادر باللغة الفرنسية إنه «شاعر يحق أن يسمى (فردوسي) الكرد، ونقصد به أحمد خاني الذي أتينا على ذكر اسمه عند الحديث عن ظهور الشعور القومي الكردي، والحق أن هذا الشعور ينعكس في شعر هذا الشاعر بأجمل صورة وأبلغها». ويقول: «وتقف آثاره في هذا المجال وفي حالات عديدة جنبًا إلى جنب مع بعض غزليات مولانا جلال الدين الرومي (المؤسس والمرشد العرفاني لطريقة المولوية الصوفية في قونية) واتخذ منه القدوة والنموذج لآثاره»(6).

من هو أحمد الخاني؟

اسمه أحمد بن إلياس بن رستم من عشيرة خانيان، ولد في مدينة (بايزيد) في كردستان تركيا الحالية سنة (1061هـ ـ 1650م) ودرس في مدرسة جامع المرادية فيها وانتقل للتحصيل العلمي إلى مدارس مدن أخلاط، أورفه، بتليس، وزار كلاً من مصر وبغداد ووافى فريضة الحج في مكة المكرمة.

اشتهر كعالم فقيه وشاعر بليغ، بقيت من آثاره الأدبية عدا قصة (مم وزين) رسالة في عقيدة الإيمان وقاموس منظوم لشرح الكلمات العربية بما يقابلها من كردية باسم (نوبار = الباكورة) كتبه لتلاميذ المدارس الدينية. وكما يقول الدكتور عز الدين مصطفى رسول: «لقد كانت هذه الآثار متداولة بنسخها المتعددة في جميع أرجاء كردستان وفي شمالها على الأخص. فلا يكاد مسجد أو مدرسة دينية يخلو من نسخة مخطوطة أو أكثر لها جميعًا، وقد طبعت الآثار الثلاثة مرات عديدة وبطبعات مختلفة، كما نشرت قصائد لخاني نقلها المستشرق جابا مخطوطة مع ما نقله من مخطوطات إلى سان بترسبورغ. ووجدت له رباعيات أو قصيدة مكونة من رباعيات كتبت باللغات الشرقية الأربع»(7).

توفي في مدينة بايزيد سنة (1119هـ = 1707م) وما زال قبره في شرقي المدينة مزارًا لعارفي فضله وعلمه.

تعريف بموطن خاني

يقال لموطن الشاعر (كردستان) واللفظة تعني البلاد التي يسكنها الأكراد، وكردستان رقعة أرض واسعة موحدة متراصة تتخللها جبال شاهقة ووديان عميقة وسهول خصبة، سماها اليونانيون (كوردونس) وسماها السريان باسم (كاردو).. «أما الكتاب العرب القدماء فلم يستخدموا الأسماء اليونانية في الحديث عن بلاد الكرد بل كانوا يسمونها (إقليم الجبال) وكان هذا الإقليم يشتمل على المنطقة الواقعة شمال غربي إيران حتى أورمية ممتدًا من سهل العراق حتى الصحراء الإيرانية الكبرى ومشتملاً على منطقة الجبال جنوب شرقي أذربيجان. وكان إقليم الجبال ينطبق في الواقع على المنطقة التي أطلق عليها الكتاب اليونانيون اسم (ميديا)، وقد سمى المؤرخون العرب فيما بعد المنطقة نفسها باسم العراق العجمي ليميزوه عن العراق العربي وهو منطقة السهول..»(8). ولم يجر لحد الآن تحديد حدود كردستان نظرًا للظروف السياسية التي مرت بها، وينكر البعض هذا الاسم بشتى السبل والأشكال. «أما كلمة كردستان كاصطلاح جغرافي فيبدو أنها ظهرت لأول مرة في القرن الثاني عشر الميلادي في عهد السلطان سنجر السلجوقي، وقد استعمل المؤرخون المسلمون فيما بعد هذا المصطلح الجغرافي، وكان أول ظهوره في كتاب (نزهت القلوب) لمؤلفه حمد الله القزويني الذي كتب عام740»(9). أما الآن فيسكن الأكراد في البقعة الجغرافية الواقعة في كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا. أما كردستان تركيا التي تقع فيها مدينة الشاعر فتشمل القسم الشرقي والجنوب الشرقي من تركيا وفيها المدن: (بدليس، ديار بكر، أخلاط، بايزيد، أرضروم، أرزنجان، سيواس، وان، ماردين) ويقدر نفوس الأكراد بين 15 مليونًا و20 مليونًا في هذه المنطقة فقط.. (أي في تركيا الحالية).

شيء من تاريخ عصر خاني

عاش أحمد الخاني في القرن السابع عشر الذي يمكن اعتباره عصر النهوض في الحياة القومية نظرًا لما حدثت فيه وفي القرن السادس عشر الذي قبله من تطورات سياسية خطيرة هزت الروح القومية، وأثرت في الواقع الثقافي.

وكإشارة إلى ذلك نذكر أن أول تاريخ شامل للكرد كتب في هذه الفترة باسم (الشرفنامة)(10). والذي هو سجل لمآثر تاريخ الكرد وحكوماتهم وإماراتهم، وفيه تشجيع وإثارة للروح الوطنية بين الناس. وظهر كذلك شعراء تركوا دواوين شعرية غاية في الأهمية منهم الشيخ أحمد الجزيري، وعلي الحريري، وفقي طيران. أما من الناحية السياسية فلم يكن للأكراد في عصر الخاني دولة موحدة بل إمارات متفرقة لكنها مستقلة، وحين نشأت الدولة العثمانية وقوي ساعداها توجهت لتوسيع نفوذها شرقًا وغربًا.. لم يقف في وجهها مانع سوى دولة فتية في إيران استطاعت أن تعبئ الجيوش باسم المذهب الشيعي، وتنافسها في الاستيلاء على ممالك الشرق ألا وهي الدولة الصفوية، واشتد الصراع بينهما متخذًا طابعًا دينيًا متطرفًا، خاضتا حروبًا دامية ذهب من أجلها ألوف الألوف من المسلمين. ووقعت كردستان بين حجري رحى الدولتين لا يمكنها العيش بسلام وأمان بينهما. ونظرًا لاتفاق الأكراد مع العثمانيين في المذهب وتلقيهم العنت والاضطهاد من الصفويين لعدم موالاتهم لمذهبهم، فقد استطاع العثمانيون سلوك دبلوماسية لين وود معهم. وتوسط عالم ديني كبير من الأكراد يدعى الملا إدريس البدليسسي في الأمر ودعا الأمراء إلى الانضواء تحت راية الخليفة العثماني الذي اعترف باستقلال الإمارات الكردية الداخلي بموجب الفرمان السلطاني الصادر في أواخر شهر أيلول عام 921هـ والموافق شهر نوفمبر سنة 1515م. وهكذا تم إخضاع إمارات كردستان السنية رسميًا إلى السلطان

العثماني»(11).
وبفضل جنوح قوات الإمارات الكردية للعثمانيين فقد انتصروا في معركة (جالديران) الحاسمة على الصفويين سنة 920هـ، لكن الصراع بينهما لم ينته نهائيًا ولم تدم سياسة ود العثمانيين تجاه الإمارات الكردية أيضًا. «وكان القرن السابع عشر الذي ينتسب إليه خاني قرنًا حافلاً بالصراع العنيف بين الإمارات الكردية والإمبراطوريتين الفارسية والعثمانية اللتين كانتا ترومان احتلال كردستان والاستفادة منها كبلاد محتلة وكجسر نحو الإمبراطولاية المعاكسة من جهة أخرى، أو كسد سديد أمام الهجوم المعاكس كما يوضح خاني نفسه بحق»(12). ويتساءل المرء لماذا لم تستطع كردستان أن تحرر نفسها من تبعية الدولة العثمانية وتشكل لنفسها كيانًا خاصًا؟ وجوابًا عن هذا السؤال نقول إن الموقع الجغرافي لكردستان شكل الأس الأساس لبقاء المسألة دون حل وذلك:
أولاً: قربها من مركز الدولة العثمانية جعل من السهل على العثمانيين تجهيز الحملات على الإمارات الكردية المتمردة.
ثانيًا: كونها المعبر أو الطريق التي تمر عبرها جيوش الدول العثمانية نحو البلدان الإسلامية في الشرق وحتى البلدان العربية في القارة الإفريقية كمصر وليبيا والمغرب.. يتحتم على كردستان أن لا تمانع أو تعرقل الحملات العسكرية، وقوافل التموين العثمانية تستطيع سلوك طريق البحر للوصول إلى ممالكها في البحر المتوسط.
ثالثًا: وحسب تفسير أحد المستشرقين فإن: «التشتت العشيري وسيادة الفكرة الإسلامية المنافسة للقومية لعبا دورًا فعالاً في الحيلولة دون تكوين دولة كردية (13).
أما في الجانب الصفوي الإيراني فقد أصبح الشعب الكردي أقرب الأهداف لسهام مطامع الصفويين والمَعْبر نحو الإمبراطورية العثمانية (أولاً)، ومما زاد في حقدهم وغضبهم عليه كونه يتبع مذهب السنة والجماعة، ولم يذعن لمحاولاتهم الدامية لتغيير مذهبه، كما غيرت جموع غفيرة من الشعوب الإيرانية مذهبهم (ثانيًا). ولكون الإمارات الكردية قد اصطفت في صف الدولة العثمانية في معركة جالديران المشهورة ومعارك الصراع المستمر بعدها.
الأدب يصور الصراع
وجاء الشاعر أحمد الخاني ليصور هذا الصراع في إطار أدبي ضمن ديباجة مم وزين، ورأيت من الأوجب أن نسمع منه شخصيًا ونطلع على دقائق الأمور في قالب شعري، وأقدم ترجمة لهذه القطعة الشعرية... ينشد الشاعر:
أيها الساقي ! بالله عليك صب جرعة في كأس جمشيد(14)
حتى تُظهر الكأس لنا العالم وتكشف لنا ما نريده
لنطلع على حالنا ونرى هل تكون أيامنا المقبلة ميسرة؟
فقد بلغ أدبارنا غاية الكمال، وهل آن الأوان لتزول تعاستنا؟
أم نبقى على حالنا إلى النهاية؟!
أمن الممكن أن يطلع في هذا الفلك الدوّار كوكبنا؟
ويصادقنا الحظ ويستيقظ مرة من نومه
حتى يظهر لنا مسندٌ وملك يقدّر فننا
ويقدر نتاج أقلامنا.. ويعالج أدواءنا ويروج علمنا
لو كان لنا ثمة مرشد كريم بليغ
لأصبح نقدنا مسكوكًا رائجًا،
ومع أن نقدنا خالص سليم، لكنه بدون قيمة إذا لم يسكه ملك
ولو كان لنا ملك وضع الله على رأسه التاج
ويؤسس له عرش لنهض حظنا واستقام،
ولكان صاحب التاج يعنى بنا
نحن اليتامى، ولحررنا من براثن اللئام
لم يكن يغلب علينا هذا (الروم)(15)
وما أصبحت ديارنا مرتعًا لنعيب البوم
ولم نكن محكومين وصعاليك مغلوبين
مطيعين لأوامر الأتراك والطاجيك(16)
لكن هكذا كانت إرادة الله من الأزل
سلط علينا الروم والعجم.
ومع أن الإذعان لهم عار
لكن العار يسم جباه المشاهير من الحكام والأمراء
وما ذنب الشعراء والفقراء؟!
وكل من مد يده إلى السيف الهمة والإقدام حصل على الحكم
لأن الدنيا عروس يتحكم فيها من بيده السيف المسلول.
فالسيف مهرها وصداقها وما يُهيأ لها من كرم وعطاء.
فلقد سألت الدنيا ما مهرك؟ قالت: الإقدام وشحذ الهمم
أي أن الدنيا تخضع للإنسان بالسيف والحكمة.

إنني حائر.... لماذا الكرد من بين مماليك الأرض
محرومين محكومين؟
فهم الذين استولوا بالسيف على مدن الشهرة
وسخروا بلدان الهمم
وكل رجل فيهم في الكرم حاتم وفي الحرب(رستم)
فانظر كيف أن الأكراد أصبحوا قلاعًا
من حدود العرب حتى حدود الكرج،
الأتراك والفرس يحتميان بهذه القلاع
ويبقى الأكراد خارجها في العراء
فهما يجعلان من الكرد هدفًا لسهام القدر
ومفاتيح الحدود والسد السديد
كلما تتلاطم أمواج الروم وبحر الطاجيك
يتلطخ الكرد بالدماء ويصبحون البرزخ لهما!
الشهامة والإقدام والسخاء والرجولة والشجاعة والجَلد
حكر على قبائل الكرد، منحوها بالسيف والعدل
ومع بسالتهم كغيارى ينفرون من حمل المنة
وهذا الحرص وعلو الهمم منعاهم من حمل المنن
ولهذا فهم لا يتفقون، وفي خلاف مع بعضهم البعض
فلو كنا على اتفاق وننقاد جميعًا لقائد
لخدَمَنا الروم والعرب والعجم
ولأكملنا الدين والدولة
ولحصلنا على العلوم والحكمة(17).

شخصيات القصة ومضمونها

أراد الشاعر أن يجعل من قصته (مم وزين) مرآة لأفكاره وخلاصة لآرائه تجاه فلسفة الوجود والحياة، وحبًا ساميًا يجعله مظهرًا للتجليات الإلهية، وهذا المسلك نراه جليًا بين فصول القصة وفي رسم شخصياتها، فشخصية (مم) إيجابية واقعية، وهو شاب مخلص لحبه، وقوي أمام أعدائه لا يتزحزح عن آماله، ومستعد للتفاني والتضحية في سبيل حبه النقي الطاهر، فاستغل القاص هذا النقاء والطهر في حب مم وزين ليرتفع به فوق الحب البشري. وليصل به إلى الحب المثالي الصوفي. فحول خاني شخصية مم إلى شخصية معنوية بعد دخوله السجن، فيقول إن وحدته في السجن أصبحت (خلوة المتعبدين) وصومعة النساك. والصوفي الذي يدخل (الخلوة) ويزاول الرياضات النفسية خلالها يصل إلى مرتبة (الشيخ)، فوجوده في السجن كان وجودًا جسديًا. أما روحه فمنطلقة في السماوات العليا. لذا فهو يرى عذابه وآلامه سعادة، وحتى حين سمع نبأ صدور العفو عنه وموافقة الأمير على لقائه بزين، يقول: (إنني لا أذهب إلى ديوان أي أمير ولا أكون عبدًا لكل عبد، فمن يكون الأمير أو الوزير؟ وتتغير نظرته إلى الزواج الدنيوي وهذا باعتقاده بأن جنة العشاق هي لقاء الله.

وكذلك (زين) فقد تدرجت في حبها من حبٍ واقعي سوي حتى بلغت قمة حب أفلاطوني، ورأت هي الأخرى من العوائق والعذاب والمنغضات طريقًا إلى حب حقيقي أسمى من الحب العادي، وأخيرًا تيقنت بأن كل ما جرى لهما كان قدرًا مكتوبًا لا مناص منه، ونجد ذلك في موقفها من قتل المنافق (بكر) الذي حطم آمال الحبيبين، فقد استغفرت له وطلبت دفن جثته قرب مرقد مم باعتباره كان حائلاً دون زوال عشقها ومم وباعثًا لاضطرام ناره، بل باعتباره سببًا لحقيقتها. فنرى أنه استشهد في سبيلهما، وتبلغ بفعلها هذا قمة الحب، فلا حب من دون عذاب وتضحية.

ومثل آخر على سمو حب مم وزين وتساميه على الحب الدنيوي موت زين التراجيدي وهي تحتضن شاهدة قبر مم أمام الجمع الغفير من المشيعين، وقبول شقيقها (الأمير) وكل الحاضرين فتح مرقد مم ودفنها معه بدون حاجز.. ليسمع الحضور لفظة (مرحبا) تنبعث من قبر مم لثلاث مرات.

أما شخصية (بكر) الذي فرّق بين الحبيبين فهي شخصية واقعية أيضًا، تعمل ضمن إطار أساليب السياسة وإدارة الحكم، فهو يرى أن أفعاله اللئيمة تبررها مصلحة الدولة والأمير.. وعليه أن يستخدم دهاءه في سبيل تقوية مركز الأمير وازدياد هيبة السلطة. أما الأمير الحاكم المطلق المحافظ على تقاليد السيادة والحق الإلهي في الحكم، فمع ظهوره بمواقف تنم عن السذاجة فإنه ينظر هو الآخر إلى مصلحته ومصلحة إمارته قبل كل شيء. ورغم النهاية المأساوية للقصة إذ يكون ختامها موت الحبيبين فإن الشاعر يبتعد عن مبدأ (الانتقام الشعري) في تراجيديات الحب المشهورة في العالم، ومع أن الأحداث الواقعية تبين انتقام صديق (مم) من بكر جزاءً على نفاقه وتسببه في موت (مم)، والقارئ الذي كان ينتظر هذا الانتقام الشعري وهذه النهاية المعقولة يدهشه تبرئة القاص لذمة (بكر) الذي يقر بأنه رآه في الجنة وذلك بالاعتماد على تفسيراته الدينية والفلسفية التي نوهنا عنها أيضًا.

وهكذا يريد القاص تصوير حبهما من زاوية التصوف، وأن العذاب الذي لقياه هو بمنزلة الرياضة النفسية والجسدية للصوفي في سبيل تربية وتنقية روحه للارتقاء فوق الماديات، وأن حبها العميق الطاهر ما هو إلا صورة مجسدة للحب

المثالي الكبير.
أما ما يهدف إليه مضمون القصة من نواح وطنية واجتماعية، فبالإضافة إلى تصوير الحياة المدنية والحضارية في إمارة بوتان ومدينة (جزير) وتباين عادات الصداقة والإخلاص وتقاليد الشعب في الأعراس والأعياد والألعاب، وكذلك عرض موضوع الحب في صورة راقية تظهر دور المرأة الإيجابية في الحياة ـ فإنه يرمز إلى الوطنية. وبرأيي فإن (مم) يمثل الشعب المخلص الشجاع المتفاني في سبيل نيل غايته في الوصال مع حبيبته الحرية، وكيف أنه لم يصل إلى غايته رغم التضحيات الجسام والعذاب المرير الذي كابده في سبيلها.. ونرى اللجوء إلى استعمال القوة أخيرًا لتحرير مم من السجن من قبل ممثلي الجماهير والقوات المحاربة. ويقول المستشرق باسيل نيكتين: «إنه يصور في ملحمته الشعرية الأساس (مم وزين) كردستان وكأنها سجين مقيد بالأغلال ويبين لنا الشاعر الوسائل والسبل التي ينبغي اللجوء إليها من أجل انقاذ وطنه مما هو عليه»(18).
ملخص القصة
جرت ترجمة القصة (من دون الديباجة) إلى اللغة العربية في سنوات الخمسينيات وبالإضافة إلى إحالتي القارئ الكريم إليها(19). لكنني رأيت أن أرفق مع هذه الصفحات الخاصة بالتعريف بالقصة والمؤلف وحياته ملخصًا للقصة الشعرية لا أظن أن الملخص يرتقي إلى مستوى الطموح ولا إلى المستوى الأدبي للنص الذي أرجو أن لا أشوهه.
كان يحكم مدينة (جزير) أمير إمارة بوتان واسمه (زين الدين) وكان أميرًا ذائع الصيت مشهورًا بالكرم والشجاعة، له شقيقتان جميلتان تسمى الكبرى (ستي) والصغرى (زين) وكانتا آيتان في الحسن والأدب. وكانت بين جيش الأمير قوة خاصة تتكون من مئة شاب يرأسهم القائد (تاجدين ـ تاج الدين) ابن وزير الديوان المشهور بقوته وبصولاته في ساح الوغى، له شقيقان (عارف) و(جكو) من الرماة الشجعان أيضًا، جعل من صديقه (مم) أخًا روحيًا لا يستطيع مفارقته، يكن الواحد للآخر إخلاصًا وودًا منقطع النظير. و(مم) هذا كان ابن كاتب ديوان الأمير، وهو شاب وسيم شجاع بطل يتصف بالإباء والمعشر الحسن والأخلاق الحسنة.
عندما تدور السنة دورتها ويحل عيد (النيروز)، يخرج الناس من بيوتهم متوجهين إلى المروج والبساتين متنزهين، وهذه عادة جارية إلى اليوم. ولقد خرج سكان مدينة جزير للتنزه في يوم هذا العيد فلم يتخلف منهم مدنيون وعسكريون سوى (مم) و(تاجدين) اللذين قاما بتبديل هيأتهما وارتديا زي الفتيات، وتنكرا بشعر مستعار وخرجا بعد ذلك من المدينة واختلطا بجموع الشباب والشابات، حيث لاحظا اضطراب الجموع، سأل تاجدين شيخًا واستفسر منه عن الأمر، فأجاب الشيخ بأن ثمة شابين قويين كأنهما جلادان يرومان رؤوس الجموع، أو ساحران يجعلان منهم سكارى دون خمر، فانتفض تاجدين ومم وقررا أن ينازلا الشابين ليحققا لهما انتصارًا أمام الحشد، وما إن اقتربا منهما حتى هالهما جمالهما وكأنهما شاهدا مَلَكين من الملائكة، وبعد أن أجالا النظر فيهما وتبودلت النظرات رقت القلوب وسلكت أرواحهم طريق الحب. ومن شدة هيامهما وقعا مغشيًا عليهما فلما أفاقا وجدا نفسيهما وحيدين وقد تبدل خاتميهما. وبعد أن تفحص تاجدين خاتمه وجد اسم (ستي) منقوشًا في باطنه ووجد مم اسم (زين) مكتوبًا على خاتمه، وهنا أدركا أن صاحبي الخاتمين هما الأخريين تنكرتا في زي شابين. وقد ترك هذا اللقاء العفوي أثره الكبير في قلبي الفتاتين فلم تخلدا للراحة إلى أن تمكنتا بواسطة مربية عجوز ساحرة من معرفة الشابين. وعندها أرسلت العجوز إليهما لتخبرهما بحب الفتاتين واستعدادهما للزواج بهما. امتلأ قلبا الشابين بالفرح بعد عذاب واضطراب دام أيامًا. وأرسل تاجدين وفدًا من الأعيان لخطبة (ستي) من الأمير فوافق الأخير على زواجه منها وجرت مراسيم الزفاف بصخب وأبهة.
كان للأمير بواب أو حاجب ماكر نمام يدعى (بكر مركَور) يكن في قلبه الحقد الكثير على تاجدين ويحاول الإيقاع به في كل مناسبة فأتى يومًا إلى الأمير ليسمم أفكاره وليعبر عليه مكائده فقال له: إنك أيها الأمير قد تسرعت بتزويج شقيقتك لتاجدين فلم يكن يليق بها إلا الملوك والقياصرة، وما تاجدين إلا من خدم الأمير، فأجابه:
أيها الأحمق ما ينفعني القياصرة والملوك عندما تحتدم المعارك؟ من لي بحمل السيف غير تاجدين ومم والآخرين؟ إلا أن بكرًا لم يهزم فقد أوغل في زرع بذور الحقد والشر فقال له:
نعم، أيها الأمير، لكن أمثال هؤلاء لا يستحقون الإحسان الذي تغمرهم به، فمن يوم ما أغْدقتَ على (تاجدين ابن اسكندر) النعمة أصابه الغرور وسيأتي يوم لا محالة ينافسك فيه حتى على العرش! كيف؟ عندما زوجته من شقيقتك قام فأهدى شقيقتك الصغرى (زين) إلى صديقه مم!! عندها غضب الأمير غضبًا شديدًا وصدق ما قاله فأقسم أن يمنع زواج مم من زين مهما كانت الظروف والأحوال.
بينما فرحت (ستي) بزواجها بقيت زين كسيرة الخاطر، بائسة وتعلم يائسة أن حظها من الحياة هو أن تكابد العذاب والحرمان وأن لا تنال مرادها أبدًا. ويبقى مم الهائم بحب زين يائسًا من الوصال يتجرع الألم والعذاب بحيث أصبح عليلاً ضعيف الوجود. وفي أحد الأيام خرج الأمير مع حاشيته إلى الصيد، وأرادت زين أن تغادر غرفتها فنزلت إلى باحة القصر ومن ثم عرجت على حديقة الأمير الواسعة فكانت تنادي الأزهار والفراشات والعنادل وتشكو لها همومها وتتمنى لقاء مم. فما إن رفعت عينيها حتى رأت مم يأتي صوبها وكأن قوة خفية أهدته وجلبته إلى الحديقة نفسها ليتم اللقاء بينهما، فأغمي عليها، وما إن شاهدها مم حتى أغمي عليه هو الآخر. وعندما أفاقت زين من غيبوبتها جعلته يفيق وتقابلا لقاء الحب الخالص، وزاد لهيب قلبيهما اشتعالاً، وعندما تركا الحديقة ورجعا إلى القصر نسيا نفسيهما وتاها في بحر الغرام، ولم يستيقظا من نشوتهما إلا على وقع أقدام الحشد الغفير وصوت الطبول والنقارات والأبواق. وكاد يكتشفهما الأمير عندما فتح باب القصر، إلا أن (مم) اتكأ على أحد أعمدة القصر وأخفى زين تحت عباءته الفضفاضة، ولم يتحرك من محله رغم مجيء الأمير ومعه تاجدين وبكر وجمع من الحاشية. وعندما سأله الأمير عن سبب وجوده

في القصر أجابه: أن مرضه قد اشتد عليه فجاء إلى حديقة الأمير للتفريج عن نفسه بالتفرج على الأزهار والأطيار ولصيد ما تصل إليه يده ما دام الأمير قد خرج إلى الصيد، وقد رأى في حديقة الأمير غزالاً أبيض ما غاب إلا قبل مجيء الأمير بفترة وجيزة. فأدرك تاجدين مغزى كلامه، لكنه ترجى الأمير أن لا يحمل هذيان مم المريض محمل الجد، وهرول مسروعًا إلى داره المجاورة للقصر وأشعل فيها النار وتصاعد الدخان وعلت صيحات النجدة لإطفاء الحريق، فهرع القوم إلى الدار المحترقة وخلت الساحة لزين كي تخرج من مكمنها وتنجو بنفسها نتيجة تضحية تاجدين.
لم يخف حب زين ومم على (بكر) فزاد حقدًا عليهما، وتوسل بكل الوسائل لسنوح الفرصة ليضرب ضربته الحاسمة ويخمد نار هذا الحب الوقاد. وأخبر بكر الأمير يومًا بأن (مم) تحدى قراره ولم يرعو عن الإيغال في حب زين، وانتشرت قصة حبهما بين الرعايا وما زال يأمل الزواج بها. فاستشاط الأمير غضبًا وقرر حسم الأمر مع مم. ودبر (بكر) مكيدة جديدة حتى يكتشف الأمير بنفسه تعلق مم بحب زين، فكان أن طلب الأمير من حاشيته أن يعدوا له مجلسًا مع مم وأوصاهم حين يدعون ممًا إلى المجلس عليهم أن يحولوا دون تسرب خبر الدعوة إلى تاجدين وأخوته لكي يستطيع تأديبه وعقابه على فعلته. وعندما حضر مم إلى المجلس طلب منه الأمير أن يلعب معه (الشطرنج) بشرط أن يلبي المغلوب طلب الغالب. وكان بين حرس الأمير فتى يدعى (كوركين) على صداقة حميمة مع مم استطاع أن ينسحب من المجلس خلسة ويخبر تاجدين وإخوته بالمكيدة، فما إن اشتد اللعب حتى وصل تاجدين وإخوته مدججين بالسلاح، وتغلب مم وربح لثلاثة أشواط. إلا أن بكرًا المفسد لاحظ (زين) تتفرج عليهم من نافذة مقابلة لهم، فانتهز الفرصة وطلب من الأمير تبديل مكان مجلسه مع مم ويواصلان اللعب، وما إن جلس مم قبالة الشباك ووقع بصره على حبيبته حتى فتر ذهنه عن مواصلة اللعب، وغلبه الأمير ستة أشواط، وغنم الأمير الفرصة لتحقيق مأربه فطلب منه تنفيذ الشرط الذي هو إخباره عن اسم الفتاة التي يحبها ليتمكن من تزويجه بها إن رآها كفئًا له.
انبرى بكر في هذه اللحظة ليشير ويستفزه فقال متهكمًا إن حبيبة مم زنجية دميمة لا يليق ذكرها بمقام الأمير. رأى مم من هذا الكلام طعنًا في شرفه فكشف بصراحة حبه لزين ضاربًا كل الأخطار عرض الحائط. هاج الأمير بعد أن نال هذا الكلام من هيبته وأثار نار غضبه فأمر الخدم بإلقاء القبض على مم وقتله شر قتلة. هجم على مم (200) مسلح ونهض مم شاهرًا خنجره وقام تاجدين وإخوته على أثر ذلك وطلب من الخدم التريث والامتناع عن كل فعل يسيء إلى مم مهددًا ومذكرًا إياهم ببأسه وبأس إخوته، فمنعهم من الاقتراب منه، أي حال دون قتله، لكنه لم يستطع المضي إلى أبعد من ذلك تجاه حكم الأمير، فقال إنه ليس ضد أوامر السلطان وعليه الإذعان لها فأمر الأمير بشد وثاق مم وحبسه في أحد أبراج القلعة. تمنى تاجدين الموت في ذلك الحين لكنه برر موقفه وصرح بأن العار لن يلتصق بجبينه لأن (الجلاد ليس رجلاً عاديًا بل هو الأمير الحاكم) حسب قوله.
ودخل مم السجن، ويصف القاص الشاعر ما كابده في سجنه الذي ظل فيه مدة عام، فأحال السجن المظلم إلى صومعة ليخلو بنفسه مع الله لا يفكر إلا بالحب الخالص المرتفع فوق الأغراض الدنيوية، ويصف من جهة أخرى عذاب زين وآلامها بعد فراق مم التي حرمت على نفسها كل معالم الفرح. وأثر فراق مم في تاجدين كثيرًا ورغم مساعيه الكثيرة لم يتمكن من عمل شيء لإنقاذه من السجن، فاتخذ الموقف الذي كان عليه أن يتخذه قبل ذلك، فقرر يومًا هو وإخوته أن يقابلوا الأمير بالعنف ويطلبوا منه إطلاق سراح مم تحت التهديد والسلاح، وأمام هذا التهديد القوي استجاب الأمير لطلبه. و(زين) التي أعطت النموذج الحسن في صبرها وتحملها العذاب ونكران الذات في سبيل الحب الخالص جلبت عطف الكل بمن فيهم شقيقها الأمير، فأيقن بأن حب (زين ومم) حب طاهر فوق الشبهات ووافق على زواجهما. وحينها ذهبت زين بكامل زينتها إلى السجن لتنقل بنفسها إليه هذا الخبر السار لكنه مات وأصبح جثة هامدة. فأثر هذا الموقف المفجع في نفسها أثرًا بالغًا. ولدى حضورها مراسيم دفن جنازة مم لم تستطع أن تتمالك فأسلمت الروح فوق قبره وتم دفنها مع مم في القبر نفسه ليتم الوصل في الآخرة وقد حرما منه في الدنيا.
ومما يجدر ذكره أن تاجدين هجم في سورة غضبه على بكر المنافق فأرداه قتيلاً. وبقيت قصة عشق مم وزين خالدة في القلوب لأنها تمثل النبل والطهر والتضحية حيث يقول الشاعر:

والحاصل فقد فتحوا التابوت من جديد
خاطب الأمير ممًا: هاك المعشوقة!
فجاء الصدى من جسده ثلاث مرات
وجاء الصوت بلفظ (مرحبًا)
وعندما سمع الجميع تحقيق السر صدقوه وآمنوا بالعشق
وقالوا مؤيدين: «مرحى. مرحى!»
حقًا لم يكونا ملوثين بالأدران والأشواك
وهذا هو الحب الطاهر
لقد رحلا طاهرين نقيين
رحلا بكرين كريمين
رحلا بشفاه ظامئة ولم يذوقا ثمرة بعضهما
وقفا أمام الله متحسرين،
والله لقد عاشا مسرورين بالحب
وماتا معًا مسرورين والمنة لله

كل من كان بجماله مثل زين يبدل الحياة بالعشق
ويحرم نفسه من السرور والعيش الرغيد
لابد أن يحقق مبتغاه.. ويرى كل ما أراده

الهوامش
1- وتسميتها جاءت على اسمي بطل القصة (مم) والذي قد يكون تصغيرًا لاسم محمد الذي يلفظ أحيانًا في اللغة الكردية بـ(مامند وممند) وبطلته (زين).
2- محمد أمين عثمان ـ مم وزين، شرح وتحقيق، بغداد، 1990م.
3- مينورسكي ـ الأكراد (ملاحظات وانطباعات)، ترجمة: معروف خزندار، بغداد، 1968م.
4- د.عزالدين مصطفى رسول ـ أحمدي خاني شاعرًا ومفكرًا، بغداد، 1979م.
5- علي سيدو كَوراني ـ من عمان إلى عمادية، مطبعة السعادة، مصر، 1979م.
6- ب.نيكتين ـ الكرد (دراسة سوسيولوجية)، ترجمة: د. نوري طالباني، أربيل، 2004م.
7- د.عز الدين مصطفى رسول ـ المصدر السابق، ص35.
8- د.شاكر خصباك ـ الأكراد دراسة جغرافية أثنوغرافية، بغداد، 1972م، ص515.
9- المصدر السابق نفسه، ص516. علمًا بأن السلطان سنجر قد حكم بين سنتي (511-522) هجرية.
10- الشرفنامة من تأليف الأمير شرمخان البدليسي، تعريب ملا جميل روزبياني، بغداد، 1953م، وهو مصدر أشار إليه المؤرخون والمستشرقون مرارًا.
11- جلال الطالباني، كردستان والحركة القومية الكردية، الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1971م.
12- الدكتور عز الدين مصطفى، المصدر نفسه، ص55.
13- باسيل نيكتين، المصدر السابق، ص213-214.
14- يقال إن الملك جمشيد الإيراني كان ينظر في كأس خاصة له ويشاهد فيها أحوال المملكة كالتلفزيون الحالي!
15و16- ورد في القديم تعبير الروم ليدل على الأتراك الذين احتلوا بلاد الروم وسكنوا فيها. ويدل (الطاجيك) على الفرس ومع أنهم الآن قوم يعيشون في جمهورية طاجيكستان لكنهم يتكلمون الفارسية.
17- مم وزين ـ محمد أمين عثمان، المصدر السابق، ص48-53.
18- باسيل نيكتين، الأكراد، ترجمة نوري الطالباني، ص213.
19- محمد سعيد رمضان البوطي، مم وزين، تأليف أمير شعراء الأكراد وأدبائهم أحمد خاني، بيروت، دار العلم للملايين.

نماذج من الأدب الكردي
مظفر بشير

الأدب الكردي جزء من الأدب الإنساني الذي يسيل رقة ويفيض عاطفة ويزهو جمالاً؛ إذ يرسم فيه الخيال صورًا رائعة تقرؤها الأجيال حكمًا منيرة وأنغامًا ساحرة ومعاني رائعة لا تحول ولا يعتريها أفول، هذا الذي جعل رسول [يقول: «إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر لحكمة» .فإذا أضاف الأدب الكردي إلى هذا كله ميزات شعب قاطن في أجمل بقاع الأرض مع طيبة في النفس وشجاعة وقوة وبسطة في الجسم والخلق، فكيف سيكون المولود الجديد؟ إنه لا شك جامع للحسن والمجد من أطرافه، وهو مهوى الأفئدة ومأوى الأصالة وموطن الإعجاز.
وعساي أوفق في هذه الصفحات لإظهار جوانب مضيئة وملامح مشرقة في هذا الأدب الرفيع. وعماد توفيقي في ذلك هو ما أطلع عليه من شذرات، وما أقطف من زهور وثمرات مقدمًا الاعتذار لأني لا أعرض هذه النصوص بلغتها الأصلية وثوبها القشيب، فلا بد من ظهور برودة الترجمة التي تخفي البريق الأصيل والألوان الزاهية؛ فقد قال بعض النقاد: إن الترجمة في الميدان الفني خيانة، ولكن هذا الحكم على ما به من وجاهة قاسٍ؛ لأن الخيانة هي تعمد إخفاء الحق وإظهار الباطل، والمترجم لايألو جهدًا في إظهار النصوص المترجمة قريبًا من النص الأصلي، ولكن ما حيلته إذا كان لكل لغة مقاييس جمال تختلف عن اللغة الأخرى، ولايمكن إظهار الجمال الأصيل ونقله إلى موطن غير موطنه، ولكني أميل إلى رأي أقل من هذا قسوة وأقرب إلى الواقع، إذ يقول: إن النص الأدبي في لغته الأصلية كالصور بألوانها الزاهية المختلفة، أما النص المترجم فهو صورة بالأسود والأبيض فقط. هذا وما لا ينال أجمعه لا يترك أنفعه، إن الأدب الكردي هو المكتوب باللغة الكردية، أما الأدب المكتوب بلغة أخرى من قبل أدباء أكراد فهو ليس أدبًا كرديًا، وهناك الكثير من النصوص الأدبية العربية الرائعة كتبها أدباء أكراد متضلعون بالثقافة العربية الإسلامية، ومنهم البيتوشي الذي يقول:
بدت شعرة بيضاءُ في أصل لمتي فبادرتها بالقلع والقطع والنتف

فقالت على ضعفي اعتديت بقوة
رويدك للجيش الذي جاء من خلفي
إن اللغة الكردية هي لغة هندوأوروبية، ولها عدة لهجات أشهرها لهجتان هما: كرمانجي الشمال والغرب، ويتكلم بها أكراد تركيا وسوريا وشمال العراق، وكرمانجي الجنوب وتسمى أيضًا (سوراني)، ويتكلم بها أكراد إيران وشرق العراق. وإن مجرى الزاب الكبير هو الحد الفاصل بين اللهجتين. هذا وإن اختلاف اللهجات في المناطق الجبلية أمر طبيعي، ولعل مرد ذلك صعوبة الاتصال بين المناطق المختلفة. وقد أثرت اللغة العربية في اللغة الكردية وذلك لأنها لغة الإسلام والقرآن، واعتناق أكثر الأكراد الديانة الإسلامية. كما تأثرت اللغتان التركية والفارسية كذلك وللسبب نفسه. ففشت الألفاظ والمصطلحات العربية والإسلامية في هذه اللغات الثلاث. وقد استعمل الأكراد والفرس والترك الحروف العربية مع إضافة بعض الرموز للتعبير عن بعض الأصوات غير الموجودة في اللغة العربية، ولكن الأتراك بعد مجيء أتاتورك تركوا الحروف العربية واستعملوا الحروف اللاتينية. وأول من درس اللغة الكردية هم المستشرقون الذين أطالوا الحديث عنها وعن أصالتها. ومن أشهرهم العالم الأمريكي ماكاروس عام 1958م، ومكنزي من أوكسفورد عام 1961م، وقد وضع أحد المستشرقين الروس قاموسًا كرديًا روسيًا يحوي ثلاثين ألف كلمة.
إن الأكراد، والأدباء منهم بخاصة، يهيمون بحب كردستان، بيئتهم الجميلة التي يكاد جمالها يفوق أجمل بقاع الأرض، فهي منطقة جبلية شاهقة الجبال لا يكاد الثلج يبارح هاماتها طوال أيام السنة، وإن روافد دجلة و الفرات تستمد مياهها من أواسط كردستان، وعندما تمر هذه الروافد عبر الممرات الجبلية والوديان تكون فسيفساء رائعة الجمال بألوانها الزاهية وثمارها اليانعة ونسيمها العليل، ويُكثر الشعراء ذكر وادي أخماخان في أشعارهم كمثل على هذه الوديان الزاهية وليس أزهاها وأجملها. اسمع لهذا الشاعر الذي يوازن بين جمال ابنة عمه وجمال أخماخان:
ابنة العم جمالك نار و نور
تشبهان ينابيع أخماخان
وأنت تثبين كظبية بين زهور أخماخان
وخصلات شعرك تتهادى كما تهادى
أغصان أخماخان
واسمع لهذا الشاعر الآخر الذي جعل حبيبته جزءًا من هذه الطبيعة التي تحيط به فيحيطهما بحبه وهيامه فهو يقول على لسانها:
أنا زهرة برية عليها شعاع الشمس و الندى
إن لم تقترب منها فستبعد عنك إلى المدى
إن لم تسقها ماء الحب ستجف جذورها
ولا تتفتح و لا يفوح عبيرها
أنا زهرة الجبال القصية
أيها الفتى المحب للزهور لن تجد أجمل مني
تعال و اقطفني و اذهب بي حيث شئت
فإني سأبهجك
ومن مظاهر عشق الأكراد لموطنهم الجميل والطبيعة الساحرة المحيطة بهم أنهم يسمون أبناءهم عدا الأسماء الدينية وأبطال تاريخهم وملاحمهم والحيوانات القوية التي تعيش معهم، وخصوصًا بناتهم بأسماء الورود الجميلة الرائعة مثل: نرجس وياسمين وجلنار. وأن جوهم الجبلي الصحي جعل منهم أقوياء أشداء خشنًا، ومع مظهر الخشونة هذا فهم عاطفيون متفائلون ظرفاء. والتفاؤل هو مفتاح الفلاح والفوز، أما التشاؤم فهو باب إلى الخذلان والاندثار. فلذلك يعطون أوقات الفراغ أهمية كبيرة ويقدرونها حق قدرها فتكون عندهم استجمامًا لمواصلة السعي الحثيث إلى الأهداف العليا، وهم على الرغم من صعوبة ظروفهم يعبرون عن فرحهم وتفاؤلهم بالرقص والغناء. والرقص عندهم فطري عفوي لا علاقة له بالرقص الغربي، وهو أنواع لها مسميات عدة تشير إلى أماكن الرقصات، أو نوع الحركة التي يقوم بها الراقصون. وتشترك فيه النساء مع الرجال، خصوصًا في الريف فتكون حركات الرقص لوحة أخرى من لوحات الطبيعة الخلابة في كردستان الجمال، فهي بموسيقاها ونسقها الواحد تشبه تموج سنابل القمح عندما تمر بها النسمات العذاب. والموسيقا الكردية هي جزء من الموسيقا الشرقية، ولكنها تختلف عن العربية والأرمينية والتركية، وكان لها تأثير في موسيقا وغناء الأقوام المجاورة، وتمتاز بشعبيتها وأصالتها وسحرها لكنها حزينة وآلاتها بسيطة لا تتعدى الطبل والمزمار.
كان الكثير من الأكراد رعاة غنم، وقد شرف رسول الله [هذه المهنة بقوله: «ما بعث الله من نبي إلا رعى الغنم»، فهي تتيح لأهلها طول التأمل في جو فسيح لا تحده حدود ولا تحبسه سُقف ولا تكدره ضوضاء بصحبة تلك الحيوانات الأليفة الوديعة التي لا تأخذ إلا القليل وتعطي الخير الوفير. وتظهر آثار هذه المهنة في أدب الأكراد، خصوصًا في أمثالهم التي تزين كلامهم وتعبر عن وجهات نظرهم. كما تظهر آثارها في تعلق الأكراد في الأساطير ذات الطابع الرعوي فيتذوقون أناشيد الرعاة ذات الأنغام الساحرة، والأمثال أقرب أنواع الأدب إلى النفس الإنسانية لأنها منتزعة من واقع الحياة، وهي من جوامع الكلم ذات المعاني الغزيرة والألفاظ القليلة. وهي كما يقول البلاغيون استعارات تمثيلية تقال في حوادث معينة ثم تمر وقائع مشابهة لها فتذكر الإنسان بتلك الحوادث التي ضربت مثلاً، والأمثال الكردية غزيرة معبرة عن

حياتهم وبيئتهم، وبعضها مستوحى من حياتهم الرعوية كقولهم:
يسقط حق الكبش الضعيف أمام الكبش ذي القرون.
العنزة الجرباء تشرب من رأس النبع.
مئة خروف تستظل بشجرة واحدة.
الخروف الخارج عن القطيع يكون لقمة سائغة للذئب.
وبعضها يدل على مكانة المرأة وقدسيتها وتعلقها بالرجل كقولهم:
وراء كل شعر أشقر شارب أحمر.
الفتيات الشابات معابد.
الله خلق المرأة والمرأة تخلق المنزل.
وبعضها الآخر يدل على حب الأطفال ووجوب الاهتمام بهم كقولهم:
الأطفال فاكهة المنزل.
المنزل الغني بالمال يمكن هدمه، أما الغني بالأطفال فلا يهدم.
المنزل الذي فيه طفل لا يدخله الشيطان.
وبعضها يشير إلى إحساس دقيق واندماج بالمناظر الطبيعية والنشاطات اليومية ومواقف الحيوانات التي يعيشون معها فتوحي لهم بتشبيهات ذات نكهة جميلة لطيفة و حِكم واقعية، من ذلك قولهم:
لا جبال عالية بلا ثلج، ولا وديان عميقة بلا ماء.
أثقل الصخور لا تضغط إلا على مكانها.
بعدما تشرب الدجاجة الظامئة تنظر إلى بارئها.
القدر المكسور بيد ربة الدار لا يحدث صوتًا.
من يعرف الحياة جيدًا لا يهاب الموت.
الله هو الذي يبني عش العصفور الأعمى، ويسهر على إطعام الضيوف.
من له عين صفراء فهو حسود (على عكس الشرقيين الذين يعتقدون أن العين الزرقاء هي الحاسدة).
ومما يدل على اهتمام المجتمع الكردي بالمرأة، واهتمام الرجل باختيار زوجته قولهم:
لا تنظر إلى المرأة بل انظر إلى أقربائها.
اختر الخال ثم اصحب المرأة إلى المنزل.
وفي الوسط الريفي يتقابل الشباب عند منابع المياه، وخلال أعمال الحقل تنشط حلقات الرقص المحتشم وتغني الفتيات أغاني الحب الكثيرة معبرات عن مشاعرهن بكثير من الرموز والاستعارات ذات الطابع المحلي؛ اعتزازًا بجاذبيتهن ودلالهن مع استعداد كامل للتضحية، وبذل كل غال في سبيل رضا الحبيب وتعبير واضح عن الوفاء له وتقديم كل ما يسعده. فهذه إحدى الشواعر الكرديات تعبر عن وفائها واستعدادها للتضحية بكل غال لتجهيز جواد ابن عمها فتقول:
أقراطي سأسبك منها النعال
أساوري سأصوغ منها المسامير
ضفائري سأحوك منها الأحزمة
خصلات شعري سأجعلها أعنة لجوادك
والمرأة الكردية أكثر تحررًا من زميلاتها في المجتمعات الإسلامية فهي تترك وجهها بلا نقاب على الرغم من تغطية رأسها، وهي في بيتها ملكة مصونة تدبر شؤونه كيفما تشاء. وهدهدات الأمهات لأطفالهن تبعث في الدار الحنان والعطف والمحبة حتى لتجعل الأب القاسي حانيًا رقيقًا حينما يسمع هدهدة زوجته الشابة لرضيعها، هذه الهدهدات من نظم وتلحين الجدات، وفيها دلالة واضحة على الترابط والحنو الأسري، وهذا نموذج من هذه الهدهدات:
لوري لوري أيها الطفل الطيب
ذو العيون السود و الحواجب الهلالية
حين أنظر إليك يمتلئ قلبي حبًا
نم برقة وسكون يا طفلي الطيب
ترعرع بسرعة لتكون سندًا لأبيك
كن شجاعًا لتصون بيتك الجديد
نامت الظبية مع الخشف الوليد
نامت كل الجبال و الوديان
نم أنت هانئًا لوري رعاك الرحمن
من مظاهر اهتمام الأكراد بالمرأة واعتزازهم بوظيفتها الرئيسة في تربية الأطفال أنهم يجعلون على قبرها تربيعة مرمرية عليها صورة مهد.
أما الأغاني الكردية فلا حصر لها وهي كثيرة متعددة، فأغاني الليل غير أغاني النهار، بل أغاني الصباح غير أغاني بقية النهار. وأغاني الأطفال تختلف عن أغاني الشباب، وهي بدورها غير أغاني الشيوخ والنساء، وثمة أغاني تغنى في الجبل وأخرى في السهل والوديان. ومنها أغاني الحب وأناشيد الحرب وأغاني الرقصات العديدة والمواويل الكثيرة

كتلك التي تدندن بها الفتيات العاملات في الغزل والحصاد. ومن هذه الأغاني أغنية الخريف التي تستوحي مناظره بتأملات قاتمة كئيبة:

الضباب قد حجب الجبال وأترعت الوديان بالمياه الصاخبة
وقد غطى الثلج أعالي القمم واقترب الشتاء
وانتقلت الخيام من مراعي الصيف إلى السهول والوديان
وانتهى طيش الأيام الجميلة واندثرت آثار العشاق
ولم يبق إلا ذكريات الوداع والأسف على الشوق الذي لم يجد الكلمات

أما الحكايات فهي كثيرة ورائعة في الأدب الكردي تصف طرائف الطبيعة ومعالمها الغريبة مع نوادر قصيرة ودعابات مرحة وقصص الحيوانات التي تظهر طبائعها وعاداتها وصفاتها المختلفة بأسلوب أدبي رمزي خالد. والملاحم والأساطير في هذا الأدب كان يسردها مغنون متجولون محترفون يبدأ أحدهم بسرد الرواية النثرية أو الشعرية حتى يصل إلى الحوار الشعري فيغنيه بألحان عذبة، وقد أخذ عدد هؤلاء المغنين يتناقص بمرور الأيام حتى كادوا يندثرون. ومن هذه الملاحم ملاحم الحرب والفروسية، وتكون طويلة، وتكاد كل عشيرة تحتفظ بواحدة منها، وهي تعتبر كنوزًا تمد الدارسين بعادات وتقاليد وطقوس الأقدمين والأدوات القديمة التي كانوا يستعملونها، كما فيها مشاهد حية للمعارك، وكل ما يطلعنا على طبيعة وملامح المجتمع الكردي في الأيام الخالية.

ومن مظاهر الأدب الكردي الأدب الصوفي الذي شاع وانتشر بانتشار الطرق الصوفية في منطقة كردستان الجبلية التي تساعد على التبتل والتنسك والانقطاع والزهد، فقد نزل الوحي على رسولنا الكريم [في غار حراء الجبلي المرتفع الذي يصعب الصعود إليه، ثم إن للصفاء والطيبة التي يتصف بهما معظم الأكراد أثرًا في هذا الانتشار، ألم تر الشاعر يقول:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
قدمًا فظنوه مشتقًا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتىً
صافٍ فصوفي حتى لقب الصوفي

وأهم الطرق الصوفية المنتشرة في كردستان الطريقة القادرية، وأتباعها كثيرون وذوو نفوذ وشهرة، والطريقة النقشبندية ومؤسسها بهاء الدين وقد انتشرت بجهود مولانا خالد الشاعر الشهرزوري الذي له ديوان مطبوع باللغتين الفارسية والكردية. واشتهر المتصوفة الأكراد بقصائدهم التي تتغنى بمولد الرسول الأعظم [وتسمى الواحدة منها (مولودًا) وقد ظل معظم هذه المواليد مخطوطًا.

إن غزارة هذا الأدب الكردي المتداول على ألسنة الرواة والأدباء والقصاصين ينبغي ألا يثنينا عن دراسة الأدب الكردي المدون، وأول ما يطالعنا منه محاولات المستشرقين الذين حاولوا دراسته والتعريف به، وما عدا ذلك فإن أكمل بحث صدر في هذا الأدب هو كتاب (تاريخ الأدب الكردي) لعلاء الدين سجادي الصادر في بغداد عام 1953م باللغة الكردية، وهو كتاب ضخم في ثلاث مئة وأربع وستين صفحة، يعرض فيه المؤلف بعد المقدمة عن كردستان والأكراد مراحل وأشكال هذا الأدب ويعطي ملاحظات ومعلومات مهمة عن أربعة وعشرين شاعرًا، يبدؤها بمدح مسجوع للشاعر الذي يريد دراسته، ثم يكتب لمحة عن حياته، مناقشًا التواريخ والأزمنة والأمكنة، ثم يختار له نبذًا من شعره ويجتهد أن تكون غير مطبوعة ثم يشرحها، خصوصًا إذا كانت بلهجة غريبة. ظهر في الأدب الكردي إبان الحرب العالمية الثانية تياران أولهما: التيار الصوفي القديم الذي أكمل ما بدأه الشعراء الأكراد الشيوخ في هذا الميدان، وعلى رأسهم مولانا خالد، ناشر الطريقة النقشبندية الصوفية. أما التيار الثاني: فهو الشعر الغنائي الوطني وقد مثله كثير من الشعراء منهم محمد أغا الجاف والمفتي الزهاوي المتوفى سنة 1890م. وبعد الحرب وسقوط الخلافة العثمانية وحاضرتها إسطنبول التي كانت مركزًا للمثقفين الأكراد يطبعون فيها كتبهم وينشرون أدبهم في أرجاء الخلافة، ظهرت مراكز أدبية أخرى خلفت مركز الخلافة منها بغداد والسليمانية، إذ انطلق منها الأدب الكردي الجديد، وصدرت فيها الجرائد والمجلات والكتب والدواوين.

وتحسن النثر متأثرًا بالآداب الأجنبية، وانتعشت وتجددت مفردات اللغة الكردية وظهرت تراجم كثيرة باللغة الكردية عن نصوص روسية وإنكليزية وعربية، كما نقلت مؤلفات كردية إلى اللغة العربية، ومن أبرز رواد النثر الكردي آنذاك هم: حسين حرني وأمين زكي ورفيق حلمي. وقد مال الشعراء الأكراد في أواسط القرن العشرين إلى التجديد في أوزان الشعر وقوافيه، كما فعل الشعراء العرب والعراقيون منهم، خصوصًا في ذلك الوقت، وعلى رأسهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة.

وقد تنوعت اتجاهات الأدب الكردي في هذا العصر؛ فظهر الأدب الرمزي والوطني وشعر الغزل والغنائي الهائم بحب الطبيعة والمتغني بجمال كردستان، وشعر ثوري يحرض الشباب على الكفاح من أجل الوطن والعدالة يمثله الشاعر فائق عبدالله (1905م - 1948م) الذي يلقب بالمنبوذ، والذي يشبهه بعض النقاد بالشاعر الفرنسي (رامبو). كما ظهر شعر ذو طابع اجتماعي معبر عن مشاعر الأكراد الثائرين على التخلف والانحراف والمظاهر الاجتماعية التي تقف في طريق التحرر والتقدم كالجهل والفقر والمرض والإقطاع، وقد عرف أدباء هذا العصر بالأسماء المستعارة والألقاب الأدبية الاجتماعية الدالة، فالشاعر العراقي الكردي (عبدالله سليمان) لقب بـ(كوران) (1904م -1962م) ويعتبر رائد الشعر الكردي الحر، ومن أنصار حرية الفكر، وقد أشاد بالإصلاحات الاجتماعية التي ترسم معالم تحرر الشعب الكردي، وقد نظم قصيدته (14 تموز) في السجن على صيحات المظاهرات والهتافات المدوية في هذا اليوم التاريخي الذي فتح

للأكراد عصرًا جديدًا.
ومن الشعر الكردي الغنائي الاجتماعي المعاصر هذه القصيدة بعنوان (نقش على رجمة) ترجمة صلاح الدين المدرس:

ازرع أيها المتجول في المقبرة
آهة على تراب ضريحي
واسكب على رجمتي المرمرية
دمعة طرية من أحداقك
وقد كنت في عالمك النير
روحًا في الجسد الجميل
أجول كفراشة بين الأزهار
كان حضن الأم مهد دلالي
وكنت روح الأب
وأصبح سواد عيني أغنية على الأفواه
صادفت فتى عديم الشهامة في طريقي
وبالإيمان وبالوعود تلفف كالثعبان الأسود في سريري
وأفرغ سمه وأهدر كرامتي
وعاد متواريًا في جحره ولم يأبه بوجهي ووجه أبي وأمي الصفر
بل بصق بها هو وأبوه
وكان يملك القوة والنفوذ
وكان قويًا متنفذًا بعيدًا عن العقاب
ولكن وا آسفا فقد جاء أجلي
ذبحًا بيد أبي
وتضرج بالدم شعري وانسدل على عيني
فلم أعد أرى أثر ذلك في وجه أبي
ولم أدر هل جرؤت أمي الحنون
على أن تقيم دون خجل مناحة

مجلة المعرفة السعودية - العدد 115 - شوال 1425هـ (2004)
http://www.almarefah.com/index.php